السنة الحادية والعشرون   العدد ١١   تشرين الثاني   ١٩٢٣

المشرق

احوال الآخرة

في عرف النصارى الاولين

لحضرة القس جرجس اليان السرياني الكاثوليكي

يقول المثل اللاتيني ان الامور الدينية تقرب من اللاهوت على حسب ارتقائها في القدم (quo antiquius eo divinius) . فبموجب هذا المبدأ تؤيد الكنيسة الكاثوليكية تعاليمها وتبيّن انّ المعتقدات التي تأمرها اليوم هي معتقدات اجيال النصرانية الاولى لم تختلف عنها قيد ذرّة مهما نكر ذلك أولو النحلات البشريّة والهراطقة المكابرون للحق

فمن هذه المعتقدات التي يمكننا اثباتها بالشواهد الاثريّة الراقية الى اوائل الكنيسة اعتقادنا بأحوال الآخرة من خلود النفس وجزائها بالثواب او العقاب وحصول الابرار على الراحة بصحبة القديسين والحظوة بمشاهدة وجه الله وشفاعة اوليائه عنده تعالى لخير الاحياء. وغير ذلك من الحقائق التي تدافع عنها الكنيسة في يومنا وتسندها الى تعاليم الرسل بتقليد غير منفصم السلاسل ومحكم الحلقات

ولا يطول بنا ايراد ما قاله اللاهوتيّون وثبّتته المجامع وحطّة الاحبار الرومانيّون جيلاً بعد جيل نكتفي بذكر ما وقف عليه الاثريّون في دياميس رومية حيث سكن النصارى الاوّلون نحو ثلثمائة سنة فاستقوا المعتقدات المسيحيّة من دروس بانيها من الرسل الاوّلين فدوّنوا على جدران تلك الاسراب ما تكثّروه من اقوالهم من هذا القبيل فنذكر بعضاً منها بنسبة عيد جميع القديسين وتذكار الموتى المؤمنين كما اثبت

المشرق سابقاً معتقدات اولئك المسيحيين بخصوص لاهوت السيد المسيح وقيامته من الاموات وسرّ القربان الاقدس ورئاسة الاحبار الرومانيين فنقول :

انَّ من ينحدر الى دياميس رومية فيسير في شُعَبها المتعدّدة ويلقي النظر على كتابات جدرانها يتأثر بديا بما يقرأهُ فيها من ذكر الموتى وخلود نفوسهم وتنعمهم بالافراح السرمديَّة وقيامة اجسادهم

١ خلود النفس

﴿بقاء النفس وحياتها﴾ واوّل ما تقرّره لنا تلك الآثار حصول الانفس بعد انفصالها من اجسادها على البقاء والخلود . فمن ذلك دعاء على ضريح للمسمّى بونيفقيوس فيه ما تعريبهُ : «اللهمَّ يا من تدعو اليك الجميع اقبل نفس بونيفقيوس بحقّ اسمك القدوس» ففيه اشارةٌ الى قول الربّ في انجيله مرارًا بانّهُ يمنح الحياة الابديَّة لمن يؤمن به . ويدلُّ على هذا المعتقد القديس قبريانوس الشهيد في القرن الثالث للمسيح بقوله في فصله عن كيفيَّة الموتى (ف ٢٠) : «قد أُوحي الينا مرارًا شتّى ان نعدل عن البكاء وذرف الدموع على اخوتنا الراقدين الذين دعاهم الله اليه وافتقدهم من العالم»

ولا شيء اكثر تكرارًا في كتابات مدافن الدياميس من ذكر الحياة الخالدة لاسيما على صورة الدعاء بعد ذكر اسم الميت : «فلتحيَ بالله - فلتحيَ بالربّ - إحيَ بالله - يعش الى الأبد - فلتحيَ بالروح القدس»

﴿راحة النفس وسلامها﴾ ومع ذكرهم خلود النفس البارّة يصرّحون براحتها وسلامها وخلوّها من اكدار الحياة الثانية كما روى القديس يوحنا الحبيب في سفر رؤياهُ (٢١ : ٤) : «ويمسح الله كلّ دمعةٍ من عيونهم ولا يكون بعدُ موتٌ ولا نوح ولا صُراخ لانَّ ما كان سابقًا قد مضى» . وهذا يوافق دعاء الكنيسة لموتاها : «الراحة الابديَّة أعطهم يا ربّ» وقد يرمزون الى تلك الراحة بالرُقاد حتى ان المقبرة في لغة الكنيسة باليونانيَّة واللاتينيَّة واللغات المشتقَّة تُدعى بالمرقد والمنام : وعليه نجد على مدافن النصارى الاوّلين في ما اكتُشف منها في رومية وفي افريقية وجهات ايطالية العبارات الآتية : «أرقد بسلام الربّ - لتحصل نفسك على الراحة - يرقدون بالمسيح» وهذه هي نفس العبارة الواردة في رسالة القديس بولس الى اهل تسالونيكي

(١٣١٤) . ومثلها : « سلامك بالربّ يا فليقة . ليسترح بالسلام » . وهي هي العبارة الشائعة اليوم (requiescat in pace) والمختصرة بهذه الحروف الثلثة R.I.P.

﴿السعادة الابديّة﴾ ولعلّ سائلا يسأل : علامَ تتوقّف تلك الراحة التي يطلبونها لموتاهم ويتوقعونها لنفوسهم ؟ فنقول انّ تلك الراحة انّما هي السعادة الابديّة فيعبّرون عنها تارةً بفردوس النعيم وتارة بالجنان واماكن الخصب وحيناً بارواء العطش من ينبوع الهي كما جاء في اقدم التواقيع البيعيّة . مثال ذلك ما يطلبهُ الكاهن في الناقور القبطي قائلا : « أعطهم يا ربّ الراحة في المكان الخصيب وأسكنهم على مياه العزّ ومتّعهم في فردوس البهجة حيث لا همّ ولا غمّ ولا ضنك ولا ترح » . ومثلهُ في الناقور المنسوب الى مار يعقوب الرسول : « أهّلنا اللهمّ ان نفوز بالراحة في بلدة الاحياء بملكوتك ونحظى بمسرّات جنان النعيم في حضن ابراهيم واسحاق ويعقوب حيث لا كدر ولا كآبة حيث يتلألأ نور وجهك الوسيم ويضيء الى الابد »

﴿مياه الحياة﴾ قد كرّروا ذكر المياه التي تروي نفوس المتنيّحين لورود ذكرها في الانجيل في قول الربّ الى السامريّة انّهُ يعطي المؤمن به ماء يغني شاربهُ عن استقاء المياه المادّيّة . فترى في جبّانة القديس كلِسطس صورة تُعرف بصورة الخمسة القديسين فهناك ترى ثلاثة اجناس من الطيور واقفة على حوض ماء تشرب منهُ لتروي غليلها . وفيهِ اشارة الى صورة يونانيّة قديمة صُوّر فيها الميت كمن يشرب ماء ويتمتّع بهِ والى جانبهِ حمامةٌ وحوضٌ طافح بالمياه العذبة

وفي جبّانة القديس دماسوس البابا (سنة ٣٦٠ تقريباً) صورة مياهٍ تتفجّر من ينبوع على ايّلَين يتمتعان بشربه اشاروا بهما الى قول داود في المزامير (٤١ : ٢) : « كما يشتاق الايل الى مجاري المياه هكذا تشتاق نفسي اليك يا ربّ »

وقد ورد في سيرة القديسين مريانوس ويعقوب انّ مريانوس رأى الفردوس كحدائق غنّاء يتخلّلها طريق سريّ حولهُ اشجار خضراء كالسرو والصنوبر تناطح الجوزاء بعلوّها وينساب بينها ينبوع ماءٍ صافٍ فغرف منهُ مريانوس فبرّد اجيج ظمإه

وعلى مثاله قال القديس اغوسطينوس يذكر صديقه نبريديوس بعد وفاته : « انّ نفسهُ تستقي من ينبوع نورك الفائض فيتروي ظمأها ويبرد غليل شوقها بارتشافها مياه الحكمة في مقرّ السعادة الابديّة »

﴿الوليمة السموية﴾ وكما رمزوا عن حياة العالم الآخرة بشبه الينابيع التي تطفئ عطش النفوس كذلك ألمعوا اليها بصورة الوليمة استناداً الى قول الرب الى تلاميذه في العشاء السرّي (لوقا ٢٢ : ٢٩) « انا اعدّ لكم الملكوت كما اعدّه لي ابي لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي » فورد على قبور المسيحيين الاوّلين الفاظ كهذه : أجلسه يا ربّ على مائدتك . وجاء عن المدعو تيودولس « قبلهُ الله في الوليمة السماويّة »

﴿مقرّ النور﴾ وقد شاع ايضاً في اثريات النصرانيّة الاولى ذكر النور كمقرّ الابرار . وما المراد بهذا النور الّا الحياة بالله والفوز به تعالى « لأنّ الله نور هو وليس فيه ظلمة البتّة » (١ يوحنا ١ : ٥) وهو الذي « ينير على المختارين » (رؤيا ٢٢ : ٤) . ففي كتابات الدياميس ما لا ريب فيه من هذا القبيل . ففي مدفن القديسة بركسيدة ما تعريبهُ : « امنح يا رب عبدك دونيوس نورك وراحتك آمين » وفي قانون الكنيسة الرومانيّة : « فليقدّم الملاك ميخائيل حامل اللواء هذه النفوس الى النور المقدّس الذي وعدتَ به ابرهيم ونسلهُ » .

ووجد كذلك على اثر آخر مثله في دياميس سيراقوزة من اعمال صقلية : « اذكر يا ربّ أَمَتك كرسندا واقبلها في بلد النور ومقرّ الراحة ومتّعها في حضن ابرهيم واسحاق ويعقوب رقدت في سادس أيار . . . »

ويغلب ايضاً الاشارة بالنور الى السيّد المسيح القائل « انا نور العالم » . والمقول عنهُ انهُ هو « النور الحقيقي الذي ينير كلّ انسانٍ آتٍ الى العالم » . فمّا يُثبت ذلك ما هو مرقوم على قبر في مقبرة القديسة بركسيدة : « ليكن معك النور يا أرمستكو . مش بنور المسيح الربّ الاله » . وفي مقبرة القديسة قرياقا : « لقد أعطيت يا بيرونس الجسدَ للارض والنفسَ للمسيح لأنّ النفس تحظى بالنور السرمدي » . وفي مدفن القديسة بركسيدة ايضاً : « لقد حصل على نور المسيح السرمدي الذي لا يشوبهُ أفول البتّة » . ومثل هذا ما ورد هناك على ضريح سترياتوس : « ها هنا يرقد بملامة السلام سترياتوس الكريم البار الذي عاش ٥٠ عاماً وحظيت نفسهُ بمشاهدة النور الربّاني »

﴿شركة القديسين﴾ وممّا تجاهر به كتابات الدياميس وآثار النصرانيّة الاولى ان الابرار يدخلون بوفاتهم في شركة القديسين ويحيون معهم . فمن ذلك ما يُقرأ على ضرائح كثيرين منهم : « فليحيَ مع القديسين الى الابد . فليحيَ ما بين القديسين »

عش مع القديسين» وليس ما تتلوهُ الكنيسة في طقوسها سوي صدى لهذه الادعية. فجاء في التوافيق البيعيَّة العريقة بالقدم «جازهم يا رب بالسعادة مع قديسيك. انظمهم في مصافّ قديسيك. ليتمتّعوا مع الملائكة بنعيمك» فكل هذه الادعية تنفي كل شبهة بمعتقد الكنيسة الاولى بمصير نفس الابرار الى النعيم كما تعلّمهُ اليوم جميع ابنائها

وممّا وُجد في رومية على سكّتها المعروفة باللاتينيَّة ارُجيل على قبر فتاة بارّة: «هنا راقدٌ جثمان جوليا اثرِنته حبيبة الله التي تجدَّدت نفسها بروح المسيح واتّخذت جسداً ملاكيًّا وانضمّت الى زمرة القديسين في ملكوت المسيح السماوي»

وقد صوّروا هناك اشخاص الموتى وهم يصلّون ما بين طاوُّين او حمَلين او ما بين هامتي الرسولين بطرس وبولس دلالةً على اشتراكهم باجواق القديسين. بل نقشوا على بعض القبور شخص الميت منتصباً بين شخصين من سكّان السماء متّشحين بملابس فاخرة ملوكيّة اشارةً الى سكنى الميت في رفقتهما بالنعيم

وفي مدفن القديس كلِستوس صورة الراعي الصالح حاملاً على كتفهِ نفس الميت وحولهُ زمرة من القديسين تحفُّ بهِ بينهم شخصان متشحان بملابس بهيَّة فاخرة وكلاهما يشرب من ماء يتدفّق من صخرة يعنون بهِ ينبوع ماء الحياة

فترى من كلّ ذلك كم كان اعتقاد قدماء النصارى بحياة الآخرة متأصّلاً في قلوبهم وكيف تفنّنوا للدلالة على معتقدهم هذا ليقرّوهُ من قلوب العائشين بعدهم

٢ الدينونة الخاصّة

على انّ الاعتقاد المذكور لم يتمّ للمؤمنين دون دينونة خاصّة وفقاً لما ورد في رسالة القديس بولس الثانية الى اهل كورنتس (٥: ١٠) حيث قال: «انّا جميعنا لا بدّ ان نظهر امام منبر المسيح لينال كل واحد على حسب ما صنع بالجسد خيراً كان او شرّا» فهذه الحقيقة التي كان تنكر البعض ورودها في الدياميس قد بيّنها باجلى بيان السيّد ويلبر (Mgr Wilpert) في كتابهِ الفريد عن آثار رومية المسيحيَّة. فذكر عدّة كتابات وتصاوير تتراوح بين القرنين الثاني والرابع للمسيح لا شبهة في صحّتها وصحّة مدلولها. فمن ذلك رخامة اكتشفوها في مدفن القديسَين مرقس ومرقلّينوس تمثّل السيّد

المسيح مستوياً على عرشه وفوقه الشعار القسطنطيني ☧ مع هاتين اللفظتين باليونانية (ΔΕCΠΟΤΗC ΗΜΩΝ) اي سيدنا او ربنا . وامامه صورة المتوفى واقفاً امام منبر الحاكم في هيئة الذل لا يستر جسمه سوى قميص قصير وهو ملتح بلحية خفيفة ومحتذٍ بنعل والحاكم يمدّ الى رأسه يداه كأنه يحاول إضافته الى مختاريه . وهناك كتابة فيها اسم الميت ثيودولس (ΘΕΟΔΟΥΛΟC) المتوفى ٧٢ سنة والاثر يرتقي الى القرن الثالث للميلاد

وقد وصف السيد ويلبر اثراً آخر يمثل فتاة بازاء عرش سيدها واقفة بين نعجتين دلالةً على ان الديان قضى لها بالخلاص مع المختارين . واسم الفتاة انطوزا وهي واقفة على هيئة المصلين . وعلى ضريحها مكتوب : « انطوزا التي عاشت عشر سنوات فلتكن نفسها مع المسيح »

وفي دياس القديس ارستس صورة تمثل مسرحاً في وسطه مرقاة ذات اربع درجات تنتهي الى مستوى نُصب عليه عرش المحكمة تسند الساج اربع قوائمه والمسيح جالس عليه بهيئة الحاكم ذي الثياب الفاخرة وعلى هامته اكليل يحدق بها وبيده اليسرى تعرض درجاً مفتوحاً بينها اليمنى مبسوطة فوق هامة شخص يصلّي في موضع منخفض امام العرش وهو لابس قميصاً ورداء وحذاء . وعلى جانبيه قديسان ، شبحان مثل الحاكم بملابس بهية كلاهما يمسك درجاً مربعاً كأنهما يدافعان عن الميت بذكر ما له من المبرّات ويتقدمان الميت الى الحاكم ليبتّ الحكم فيه . والقديسان شهيدان ورد هناك اسمها نزيوس وفكتور . وكأنّ الحاكم اصدر في الميت حكماً موافقاً لرغبتهما

ومثلها صورة أخرى يُرى فيها السيد المسيح وفي يده صولجان الملك آية سلطته ورمز عن معجزاته وامامه الدعوة فيها مصلية يتلوها القديسان مزيوس واكتس الى دينها . فيبرز منها حكماً صالحاً تتحظى بالولية الخالدة التي يتردها اليها احد الملائكة

وقد وجد في دياميس سيراقوزة صورة بديعة راقية الى القرن الرابع للمسيح تشبه الصور السابق ذكرها فهناك السيد المسيح ضمن هالته جالس على عرشه وعلى رأسه التاج يعاره شعاره الخاص وامامه المتوفاة المدعوة مرقيا على جانبيها الرسولان بطرس وبولس وقد بقي اسم الاول فقط وهما متشحان بالدرع والرداء . والمسيح يمدّ

يده نحو مرقيا بتعطّف وحولها الزهور الشيّرة الى جنان الفردوس مع هذه الكتابة : «ها هنا راقدة مرقيا التي عاشت ٢٥ سنة و ٧ اشهر و ١٥ يوماً» . . وفي بعض زوايا الصورة : « اذكر يا ربّ أمتك مرقيا »

فيتضح من هذه الآثار انّ المسيحيين الأولين اعتقدوا ما تعتقده اليوم كنيسة المسيح اعني امتحان النفس بدينونة خاصّة عند خروجها من جسدها وقبل فوزها بالنعيم

٣ شفاعة القديسين

وفي هذه الآثار التي مرّت بك ترى صحة تعليم آخر تتشبّث به اليوم الكنيسة الرومانية الاورثذكسية نريد به شفاعة القديسين فان الكنيسة لم تزل منذ عهد الرسل تعتقد بان القديسين نفوذاً لدى الله بما مارسوه في حياتهم من الصلاح فيسألون منه تعالى لن تضرّع اليهم وتعبّد لهم نعماً جزيلة في حياتهم ومماتهم وهذا ما يدلّ اليه وجود القديسين في محاكمة الموتى يرافقون المتوفى ويقدّمونه الى ديّانه ويتشفّعون به

ويلوح ذلك في صورة بديعة تُرى في رومية في الطبقة السفلى من كنيسة مار اقليميس وترتقي الى القرن التاسع للمسيح فترى هناك صورة ابن الله الجالس على عرشه وملاكين واقفين في حضرته مع شخصين قديسين وهما القديس الرسول اندراوس والقديس اقليميس تلميذ بطرس هامة الرسل . وبين القديسين شخصان آخران الواحد عن اليسار حاملاً كتاباً والآخر عن اليمين لائذاً بحماية ملاكه الحارس الواقف بقربه . بينما يستودعه الى السيد المسيح القديسان الحاميان عنه . فيشير القديس اقليميس الى الهالة المعورة المشخّة التراب ويشير القديس اندراوس درجاً يحتوي على غير ذلك من حسناته فيصغي الديّان الى شفاعتهما ويحكم الحكم المرغوب على الشخص المتوفى الذي يُرى منتصباً متزيّناً بحلّة بيضاء تعلوها بردة غبراء . وفي يسراه كتابٌ مرصّع بالجواهر يشير فيه الى آية الرسول بولس «لقد جاهدتُ الجهاد الجميل» أمّا الشخص الحامل الكتاب فهو القديس متوديوس الذي سعى بنقش هذا الاثر تذكاراً لاخيه القديس قيرلّس المتوفى في رومية سنة ٨٦٩م وهما رسولا الصقالبة الشهيران وقد جعل الكأس في يده اشارةً الى تقدمته الذبيحة الطاهرة عن نفس اخيه المتوفى . أمّا الملاكان فهما جبرائيل وميخائيل يشهدان لأنّ ينقلا النفس الى الاخدار السماوية فترى في هذه الصورة امرين جديرين بالاعتبار يؤيدان معتقدات الكنيسة اعني قوة

شفاعة القديسين لخير البشر ثمَّ مفعول صلوات الكنيسة وتقدمة ذبائحها لراحة انفس المؤمنين

وكثيراً ما يُرى في دياميس رومية مكتوباً على قبورها ادعية يستمدُّون بها شفاعة الشهداء القديسين لينالوا بواسطتهم افراح النعيم. فمن ذلك الادعية التالية: «أيها القديس لورنتيوس ساعد نفسهُ. فلينعش الراحة القديس الشهيد هيبوليطس. ايتها القديسة باسيلا أننا نستودعك كريستينوس وابنتنا كريستينا. يا فرجينيا يا يوزا العزيزة فلينعشك الراحة الربُّ والمسيح والقديسان ادوكتس وفليكس

وممَّا وجد في مقبرة انطينوه في مصر كتابة قبطيَّة على هذه الصورة: «يا إله كولوتوس (الشهيد) ارحم نفس جوستينا المتوفاة واقبلها في السماء في نعيم القديسين نتوسَّل اليك ان تُسمِعها ذلك الصوت العذب: تعالي الى الفرح السماوي...»

وهذه التوسُّلات كانوا يوجّهونها الى غير القديسين من اهلهم واقاربهم المسيحيين ولاسيَّما الصغار الانقياء القلوب لاعتبارهم اياهم من جملة الفائزين بالمجد والمقتدرين على التشفُّع بهم مثال ذلك ما صورتهُ: «يا سبنتوس النفس الكريمة اطلب وابتهل في شأن اخوتك وزملائك. يا مقروناتا يا من اصبحت حقيقةً ما تورونا (اي سيّدة) تضرَّعي لاجل والديكِ (عاشت مقروناتا سنةً واحدةً و ٥٢ يوماً). فلتسترح نفسكِ بالله. توسَّل اليه لاجل شقيقتك. وورد على مشهد اقامهُ اناطوليوس لابنهِ الذي عاش سبع سنين وستَّة اشهر وعشرين يوماً: يا بُنيَّ عِشْ في الله وصلِّ لاجلي ما دمتُ حيّاً. يا بكرنا اناطول الذي اخترمتهُ المنيَّة سريعاً صلِّ لاجلنا. استمدَّ من الله بصلواتك مغفرة خطاياي وعِشْ انت بسلام»

وهذه الشفاعة لم يقصروها على الفقيدين الناجين بالرب بل يطلبونها ايضاً من الاحياء ليساعدوهم بصلواتهم ان ينالوا النجاة من المطهر. جاء في كتابة محفوظة في المتحف اللاتراني في رومية: «الرجاء من كلّ الاخوة الذين يطَّلعون على هذه الكتابة ان يطلبوا من الله بان الملحود في هذا القبر يُقبَل عند الله بروح مقدَّسة طاهرة» فهذا ادلُّ دليل على منفعة صلوات الكنيسة لاجل الموتى

وقد جاء في اخبار القديسة خالدة شهيدة قرطجنة انَّ الله اراها اخاها المرحوم دينوقراطس في حالة الحزن والعذاب لا يستطيع ان يبرّد غليله عند ينبوع هناك فصلَّت لاجلهِ وفي اليوم السابق لاستشهادها ظهر لها اخوها شاكراً فرحاً في حديقة

غنّاء ملتحفاً بالنور يشرب بهناء من الينبوع المذكور

فمن لا يرى ما تحتويهِ كلّ هذه الطلبات والادعية من اعتقاد اصحابها بشفاعة القديسين لا بل جميع المختارين وكم يبطل زعم الفراطقة والبروتستانت الذين ينكرون ذلك كأنّ الكاثوليك باستمدادهم شفاعة اولياء الله ينقصون شيئاً من جلال الله وقدرتهِ ولا يرون انّ اكرامنا للبتول العذراء وللقديسين يعود الى الله عينهِ الذي زيّن والدتهُ وقديسيهِ بتلك الفضائل والنعم التي يلتمسونها منهم

٤ قيامة الاجساد

انّ بعث الاجساد ونشورها لمن الحقائق التي صرّح عنها السيّد المسيح في انجيلهِ ثمّ اعلن بها تلاميذهُ من بعدهِ بارفع كلام واجلى بيان لاسيما القديس بولس في رسائلهِ الاولى الى اهل كورنتس الفصل الخامس عشر حيث اثبت انّ قيامة السيد المسيح من بين الاموات هي سند ايماننا بقيامة اجسادنا في اليوم الاخير . وقد بيّنت هذه المجلّة الامرين في مقالة مطوّلة مع عدّة تصاوير نُشرت هناك (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٣٣٧-٣٤٦) وقد اثبتت منها هناك الآثار التي تُرى في الدياميس مؤيّدةً لهاتين القضيتين ومن ثمّ نحيل القرّاء الى مراجعة ذلك الفصل

ونكتفي ببعض الشواهد على اثبات الاجساد . فانّ بين الكتابات الضريحيّة للمسيحيين الاولين في رومية وغيرها كثيراً ما يدوّنون هذه العبارة : « هذا مرقدُ فلان ليوم القيامة . قد أُعدَّ كاوجيرو هذا المرقد لوالديهِ مقدونيوس وزوجيتا ليوم القيامة . لحد الجسد في الارض حتى يأتي يوم الفرح بشير القيامة »

ومن ادلّتهم على ايمانهم بالقيامة انهم يستودعون اجساد موتاهم للقديسين ليبعثوا معهم في يوم الدين وقد تفننوا بالرموز المشيرة الى قيامة اجسادهم فتارةً يرمزون اليها بصورة النبات او الزهر في فصل الربيع وتارةً بصور بعض الحيوانات التي كانوا ينسبون اليها الخلود او تجديد شبابها كالسندل والطاووس والنسر ودود القز . وربّما رسموا بعض الاحداث الكتابيّة الدالّة على ذلك كنجاة يوسف من جبهِ ونجاة شمشون من اعدائهِ في غزة وكيونان عندما يقذفهُ الحوت وكدانيال عند خروجهِ من جب الاسود او لعازر اذ يقيمهُ السيد المسيح من قبرهِ . يشيرون بكل هذه التصاوير انّ الله سيعيد لاجسادهم الحياة ويشركها مع نفوسها بالسعادة الابديّة

٥ المكافأة الحالية

ألا انّ رجاء المؤمنين الاولين بقيامة اجسادهم لم تصدهم عن الاعتقاد بانّ نفوسهم ساعة انفصالها من الجسد ان لم يكن لها ما تقيه لعدله تعالى في تطهير موقت تنال حالاً السعادة الدائمة في السماء بالتمتع بنظر الله ومشاهدته وجهاً لوجه . خلافاً لمن يزعم بانّ تلك السعادة لا ينالها الابرار الّا بعد القيامة الاخيرة

ولا ننكر انهُ وقع في الكنيسة الكاثوليكيَّة تنسها بعض الجدال في هذا المعنى فميّزوا بين الفردوس وسماء الثلاثة فجعلوا الفردوس مقرّاً للنفوس ريثما تجتمع باجسادها يوم القيامة فتدخل سماء الثلاثة لتشاهدهُ تعالى في نوره الالهي كما هو

على انّ هذا الجدال ما لبث ان بطل بما اتاهُ ذوو القول الصائب من البراهين النقليّة والعقليّة لنقض آراء مخالفيهم واليوم لا يشكّ في الحقيقة اثنان بين الكاثوليك اللهمّ الّا بين الروم الذين يتردّدون في هذه المادّة كما في غيرها من الحقائق

ونضرب الصفح عن ادلّة هذه القضيّة اللاهوتيّة والتقليديّة ونكتفي بالنصوص الواردة في مآثر النصرانيّة الاولى فنرى تلك النصوص على وتيرة واحدة لا تفرق بين نعيم موقّت نصفيّ وبين السعادة الدائمة بروْيا الله عزّ وجلّ فانّ الكتابات المرقومة على ضرائح الموتى في الدياميس تتضمّن كلّها التمنّي ورجاء الحياة بالله والمسيح او بالحياة مع الروح القدس او مع اقانيم الثالوث الاقدس وهذه الحياة تعني بلا شكّ السعادة التامّة بمشاهدة الله في جوهر طبيعته الالهيّة مثال ذلك اثر برقنديس في مدفن دوميتلاّ : « يحيي برقنديوس بالآب والابن والروح القدس لانهُ آمن بيسوع المسيح »

والى هذا الباب يعود ما سبق من التماسهم للحياة والراحة والسلام والنور . فان كانت انفس الموتى لا تزال مبتعدة عن نظر الله فانّ تلك الحياة والراحة والسلام والنور لا حقيقة لها اذ لا تتمّ الّا بمشاهدة الجوهر الالهي . فهذه شواهد أُخرى تزيد ما سبق ايضاحاً جاء في مقبرة القديسة بريسكيلا عن احد الموتى : « قد حظيت نفسهُ بنور ربّاني » . وورد في مدافن غيرها : « قد فاز دوناطس بالراحة في الله - حازت هيرقلية سلام الربّ »

وكذلك ما اشاروه من ارواء العطش بينبوع الماء الحيّ وسدّ الجوع بالوليمة السمويّة والحظوة بالملكوت وحضور افواج العرس كلّ ذلك يشير الى بلوغ النفس

الى غاية منتهاها بقربها من الله الذي وحده يمكنه ان يوطّد عليها ويشبع جوعها . تضاف اليها النصوص الآتية : « قد كُتب اسمك أيها البارّ في الوليمة السماويّة . فلتكن اروحيّنا فائزة بالوليمة السماويّة »

وجاء في ترجمة القديستين الشهيدتين كربس وبابيلس انّ اغاثنجة كانت حاضرة استشهادهما فخُطفت بالروح ورأت مائدةً فاخرة معدّةً في السماء لهذين الشهيدين فلما افاقت اخذت تصرخ وتعرض نفسها للجلادين ليقتلوها معهما قائلة : « انّ هذه الوليمة العظيمة معدّة لي ايضاً فيجب بوقي ان اشترك بها »

ومثلها الصور المنقوشة في الدياميس حيث تُرى ينابيع المياه يتقدّم شربها الحمل المرموز به عن النفس

وممّا ورد عن الملكوت اثر جوليا اقرنيتا : « قد قُبلت في ملك المسيح مع القديسين » . ومنها : « استودع نفسه المختارة الى القديسين في الابديّة . استحقّ ان يلج الخادع الملكوتيّة ويفوز بالملك السرمدي . دخلتْ الى العرس مع العذارى الحكيمات »

فهذه الشواهد كلّها تصدع بغاية واحدة اي الدلالة على انّ النفس حظيت بجزائها بعد انفصالها من جسدها وانّ الجسد سيشاركها يوم القيامة بفرحها ويعاين الله معها

٦ الديونة العامّة

انّ قيامة الاجساد ستعقبها الديونة العامّة التي تَرْهَبها المخلّص في انجيله الطاهر ووصفها وصفاً مدقّقاً ذاكراً سوابقها وتفاصيلها ثمّ لواحقها بافراز الصالحين عن الطالحين « فيذهب هؤلاء الى العذاب الابدي والصدّيقون الى الحياة الابديّة » (متى ٢٥ : ٤٦) :

وذكرُ الديونة الاخيرة متكرّر في الآثار الكتابيّة القديمة سواء كان في دياميس رومية او في غيرها . منها اثرٌ وُجد في غاليا وهو كتابة يصرّح فيها واضعها بذكر القيامة الاخيرة : « ههنا يرقد بسلام دلاّا الذي فداهُ المسيح بموته ويتوقّع بفرح يومَ الديونة العتيدة »

ومن الآثار المكتشفة في مدينة ميلانو ما نصّهُ معرّباً : « يفرح المترقّي بالروح يوم ينتعش جسدهُ ثانيةً ويقبل من الحاكم العادل جزاء الابديّة الذي يسترجيه » وجاء في

اثر آخر: « اني لأنتظر الجزاء السماوي المعدّ للصالحين »

وكُتب على اثر ثالث: « لرحمة الرب في يوم الدينونة » فالمراد كما يلوح انما هو الدينونة الاخيرة اذ انّ الدينونة الخصوصيّة لا تتأخر عن وفاة الميت

ومما يُروى في احدى كنائس رومية القديمة: « ايها الداخلون الى هذه الكنيسة صلّوا لاجل ادودازيو الكاهن الخاطئ لرحمة الرب في يوم الدينونة »

وفي كنيسة القديس فيلكس النولي كتابة ضريحيّة يُقال فيها انّ صاحب الميمة «يَنِزّ بضيعو العزيز (اي الميت) ويستودعه الى المسيح وسيصحبهُ الى المحكمة عندما يدق النفير الهائل وتتزلزل الارض وتعود النفوس الى اجسادها

وجاء على قبر يرتقي عهدهُ الى ديوقلطيانس سنة ٣٠٣ لفتاة تدعى سويرة: « انّ جسدها راقدٌ هناك بسلام ريثما يبعثهُ الربّ الذي خطف نفسها وهذه النفس العفيفة النقيّة سيردها الربّ الى جسدها مزيّنة بمجد روحاني. قد عاشت تسع سنوات واحد عشر شهراً و ١٥ يوماً »

وعلى عدّة قبور في دياميس رومية وغيرها الفاظ يستحلف فيها الكاتبُ اهل الارض عن لسان الميت بألّا ينتهكوا حرمة قبره فيختمها عادةً بذكر الابديّة. مثال ذلك: « من دنّس هذا القبر فليُطرح جسدهُ بلا دفنٍ ولا يُقم مع الصالحين »

ومما اكتُشف سنة ١٩٠٩ في كنيسة مريم العذراء بالقسطنطينيّة كتابة على هذه الصورة: « اني استحلف (كلّ من يقرأ) باسم الاب والابن والروح القدس ويوم الدينونة الرهيب ان لا يجسّر وينتهك هذا القبر »

هذا فضلاً عن صور قديمة تمثّل الدينونة العامّة تُرى حتى اليوم آثارها كالصورة الموجودة في كنيسة مار اقليمس حيث استوى المسيح جالساً كحاكم يحدق به الرسل وهم جلوس ايضاً على اثني عشر كرسياً كما وعدهم في الانجيل (متى ١٩ : ٢٨) ثم تجتمع من يمين الحاكم نفوس الطوباويين في اورشليم السماويّة وعن يساره نفوس الهالكين في جهنم. وقد ذكر بيدا المكرّم في القرن الثامن تصاوير قديمة كانت تمثّل يوم الدين

وفي هذه العجالة كفاية لاثبات ما قلنا عن بيان معتقدات الكنيسة الاولى ومطابقة تعاليمها مع تعاليم الكنيسة الرومانيّة في عهدنا والشكر لله على كلّ حال

مجاراة تسبحة الموتى اللاتينية

(Dies Iræ)

بقلم حضرة الخوري منصور عوّاد

نظمها بمناسبة تذكار الموتى الواقع في ٢ تشرين الثاني

في قبضة الله انتظروني   وحدي أُطالَبُ بالديونِ
اليومَ يومي فارحموني   مَنْ مِنْ يدِ المولى يقيني ؟!

*

قاضٍ ذا لا يُرتشى   غيرَ العدالة لا يشا
الرعبُ في كُلّي فشا   فأنا الذي الشجبَ اختشى

*

ما منه من أحدٍ يصونْ   فبمَنْ عليه أستعينْ
في وجهِهِ الكونُ يهونْ   مثل الهشيمِ فمَنْ يكونْ ؟!

*

من صوتِهِ ارتجَّ الأممْ   والطُّود كالرملِ انهزمْ
والصخر كالوردِ انقصمْ   والبحر داسَتْهُ القدمْ !

*

بالشرِّ أيامي قطعتْ   يا ليتني منها انتفعتْ
ويلاهُ في يدهِ وقعتْ   قد كان ما منه فزعتْ

*

فالقلب من وجلٍ يجِفْ   والكون رعباً يرتجِفْ
لمّا يشا ان ينتصفْ ،   في وجهه مَن ذا يقفْ ؟!

*

فالشمس تُظلم والبدورْ   في ذلك اليوم الأخيرْ

ويطهّرُ الارضَ السعيرْ   محقاً وتنصرم الدهورْ

*

ويبادر الكونَ النظامْ   وعليه ينتشر الظلامْ
والحيُّ يهلك بالتمامْ   والناس ترقد للقيامْ

*

تدوي بآذان الخليقهْ   اصواتُ ابواقٍ دقيقهْ
فتُفيق في تلك الدقيقهْ   من رقدة الموت العميقهْ !

*

اذ ذاك تنفتح القبورْ   ويتمُّ كالبرق النشورْ
فيقوم بعضٌ بالسرورْ   والبعضُ بالخوف الكثيرْ

*

فيعود ثمَّ الى الحياةْ   من عاش يوماً ثمَّ ماتْ
ويودُّ لو ألقى المماتْ   ظنّاً بأنَّ به النجاةْ !

*

ولدى كرسيّ القضاءْ   كلٌّ يُساق على السواءْ
وهناك حالُ ذوي الشقاءْ   في الرعب حالُ ذوي الصفاءْ

*

فالهولُ يوم الحشرْ   يبدو على المحتضرْ
يا للخليقة تعتري   أيّاً حبالُ التحيرْ !

*

وعليه ديّانُ البشرْ   بيمينه علمُ الظفرْ
ذاك الصليبُ المحتقرْ   والنور منه قد انتشرْ !

*

واذا يجيء على السحُبْ   لا من غمامٍ بل لهبْ
وعلى محيّاهُ الغضبْ   تغدو الطبيعة في حَرَبْ !

*

بينَ الصواعقِ والبروقْ | يأتي وربقةُ الحريقْ
نظراتُهُ ما مَن يُطيقْ | فتطيرُ عينيه البريقْ !

*

فكأنّ ذا القاضي المريعْ | ما كان يسوعَ الوديعْ
الطفلَ والحمَلَ الوضيعْ | رجلَ المصائبِ والدموعْ !!

*

أنّى من الخُبزِ الخبَزْ | يا ليتَ ذلك مُختَبَزْ
مَن في البريّةِ قد سبَزْ | أشباحَ ذاك وما اختبزْ ؟!

*

يأتي ويجلسُ للحسابْ | بالعدلِ يحكمُ والصوابْ
وامامه فتحُ الكتابْ | يُجلي عن الخلقِ النقابْ

*

فيرى الذي فعلَ الورى | مما يُرى او لا يُرى
وجميعَ ما قِدْماً جرى | بين الملائك في الذُّرى

*

فيدينُ بالنارِ البرايا | حسبَ الظواهرِ والخفايا
ويصبُّ بالقسطِ البلايا | يا ويلَ اصحابِ الخطايا !

*

في ذلك اليومِ الشديدْ | يَبكي ولكن لا يُفيدْ . .
ويودُّ لو عُدِمَ الوجودْ | أيْ وأنّى ما يُريدْ ؟!

*

فانا الذي بالاثمِ يرضعْ | وحياتُه بالوزرِ يقطعْ
ماذا اقولُ إذنْ واصنعْ | ان كان مثلي البارُّ يفزعْ ؟!

*

ويلي انا العبدُ الشقيْ | من سخطِ مولايَ القويْ
ويلاه ما لي من وليْ | إن كان لا يرضى العليْ !

*

أأنى عريتُ انا لديكْ خيرُ القرارِ اذاً اليكْ
يسوع حتى ارفع يديكْ فبك اعتصمتُ انا عليكْ!

*

في الموقف الآتي الاخيرْ أشفقْ عليَّ انا الاسيرْ
أفتكون ذا الربُّ الخطيرْ وتُخاصم الدود الحقيرْ؟!

*

أنسيتَ انك من تجسَّمْ حباً من العذراء مريمْ؟!
انسيتَ جسمك كم تحطَّمْ ربي لاجلي بل تألَّمْ؟!

*

أفأنت يا ربي غريبْ عني ومن شخصي المعيب
أنسيتَ يسوعَ الصليبْ ودموعَ أُمك والنحيب؟!

*

واذكرْ اذا اني اعتمدتُ يسوع باسمك واعتقدتُ
واكلتُ جسمك واتحدتُ ربي به لما رقدتُ

*

أتروح خلف النعجةِ ضلت وترفض طلبتي؟!
أفلم يعُد من رحمةٍ يسوع لي او نعمةٍ؟!

*

قوِّ فؤادي بالرجاء أن قد دعوتَ ذوي الخطاء
لم تدعُ يا ربي النقاء اذ ليس يعوزهم شفاء

*

فأنا المُلام انا الأثيمْ وانا الذليل انا السقيمْ
يسوع نفسي بالكلوم جرحى فخذها يا رحيم

*

يا عادلاً في كل حكمٍ دعْ لا تحاكمني بجرمي

ان عُفتَ عن صفحٍ وحلمٍ   من ذا الذيكَ بدون إثمِ ؟!

*

لولايَ لم تتجسّدِ   ربّي ولم تتكبّدِ ! . . .
لولا الخطيئة سيّدي   مَن كنتَ قل لي تفتدي ؟!

*

يسوعُ انتَ من افتدى   جسدي ونفسي بالرّدى
فجميع أتعاب الفدى   يسوع لا تُذهِبْ سدى !

*

ربّاه هبْ نفسي السلامهْ   حسبي لها منها الملامه
قلبي تقطّع بالندامهْ   فانظر على وجهي العلامهْ !

*

معْ من تقيمُ على يمينكْ   ربّي أقمني يومَ دينكْ
فأكفُّ عن طلبي لدَيْنكْ   وأهيم في شكري لعينكْ

*

ومتى التفتَّ الى الشمالْ   بالسخط والغضب الجلالْ
وشجبتَ ربِّ بلا محالْ   اصحابهُ طيّ النِّبالْ !

*

وزججتَ في السجن المظلمْ   أزلاً في نار الضريمْ
وختمتَ أبواب الجحيمْ   خذني اليك الى النعيمْ !

*

يسوعُ أرقدْ في السلامْ   عبدًا احبّك باحترامْ
وعلى يمينك للدوامْ   ربّي أقمهُ في القيامْ !

صحيفة من تاريخ لبنان

في القرن التاسع عشر

بقلم الاديب م . ح . البناني

«كما تتوالى الاوراق على الشجر في الغابات كذلك اجيال البشر . من الاوراق ما يسقط على الارض ومنها ما تتجدد فيها الحياة عند عودة الفصل الجميل فصل ايام الربيع . كذلك تجد اجناس البشر منها اجيال تتجدد وتزهر ومنها غيرها تنتهي وتنقرض»

هذا ما انشده اوميروس في النشيد السادس من اليلياذته الابدية القرار فعرّبه سليمان افندي البستاني بهذه الابيات :

فقال : «علامَ اتفحصتَ الخبرْ ونحنُ كالاوراق فوق الشجرْ
فبعضها يُبيدُهُ الهواء وبعضْ على منبت بانده البديع فضْ
ففي كلِّ عام نباتٌ أُبيدا به الغابُ تُكسى رياً جديدا
وكلٌّ مثل إثر كلِّ شيء فجيلٌ تلاشى وجيلٌ نشا»

فمن هذه العناصر التي تنمو وتزدهر من عدة اجيال عائلة المشايخ الدحداح التي فقدت منذ سنة كاملة احد اركانها الا وهو المرحوم الشيخ خطار جهجاه الدحداح

سبق لمجلة المشرق انها نشرت في شهر ايار وشهر حزيران من سنتها الرابعة (١٩٠١) مقالة عن المرحوم الكونت رشيد الدحداح أتت في مقدمتها على بعض تفاصيل عن هذه الاسرة التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ لبنان ولم يزل لها فيه وفي عالم الادب شأن يذكر . والآن قبل ان نقول كلمتنا في هذا الفقيد الذي اشتهر في خدمة الآداب والمكرمة فليسمح لنا القارئ اللبيب ان نبدي كلمة موجزة عن هذه العائلة وعن لبنان عموماً في هذه التسعين سنة الاخيرة

لما تمكّن الامير بشير شهاب الثاني المعروف بالكبير من قمع ثورة ابناء عمه الذين

كان يضطهدهم الشيخ بشير جنبلاط وتغلّب على جميع اخصامهِ فأسر بشمل اعين الامراء عباس اسعد وسليمان وفارس سيد احمد شهاب وافتتح والي الشام ووالي عكا بلزوم قتل وشنق المشايخ بشير جنبلاط وعلي وامين العماد وذلك سنة ١٨٢٥ خلا له الجوّ وصفا له الزمان فاصبح الحاكم المطلق وأمِنَ على مركزهِ اذ أصبح عبد الله باشا والي عكا (وهو مرجعه الرسمي) في الحاجة اليهِ لصداقة الامير مع محمد علي باشا . فلم يعد يخشى تغيُّر خاطر الوزير عليهِ واصاب من الجاه والسطوة ما لم ينلْ احد قبلهُ مثلها في لبنان منذ عهد الامير فخر الدين الثاني المعنيّ

وكان وقتئذٍ الكاتبةُ عند الامير بشير في بيت الدين اي مدبّرُ امور البلاد المرحومُ الشيخ منصور الدحداح المولود في عرمون سنة ١٧٧٩ ثمَّ تولّى على ايدي والدهِ الشهير الشيخ سلّوم الدحداح وقضى مدة طويلة تحت نظارتهِ في خدمة الامير بشير الى ان خلفهُ في منصبهِ لما اعتزل الاشتغال سنة ١٨١٣ بعد ان تقلّدها مدة ١٨ سنة . فكانت وفاتهُ سنة ١٨٢٠ . وقد اطنب في مديحهِ الكاتب الفرنسوي الشهير بوجولا (١) . وكذلك قد اتّسع في مديحهِ الشاعر نقولا الترك معاصرهُ . ففي النسخة الخطية المحفوظة من ديوان هذا الشاعر في المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين كثير من المنظومات التي انشدها في مديح الشيخ سلّوم تارةً وحده وتارةً مع ولده الشيخ منصور وحفيده ظاهر بن منصور وحيناً مع كافة اولادهِ اي المشايخ منصور وغالب وبشير . وهاك بعضاً من هذه المنظومات : لمّا بنى الشيخ سلّوم دارهُ بين الجديدة وعرمون سنة ١٨٩٦ قال الشاعر بلسان الشيخ :

أنشأتُ هذي الدارَ كاملة البنا من فيض انعام الالهِ الزاخرهْ
وأتيتُ ارجو الله في تاريخها متطلّباً امسي بيت الآخرهْ (١٨٩٦)

وقال مؤرّخاً كنيسةً بناها الشيخ سلّوم واولادهُ على اسم القديس انطونيوس البادواني سنة ١٨١٥ في قرية الجديدة :

يدُوا كنيسة القديس واسرا لذات المعجزات بلا تزالِ
فمن يُسرعْ بايمانٍ اليها ينلْ ما يبتغيهِ من الأماني

(١) اطلب تأليفه المشهور «بالحقيقة عن سوريا» La Vérité sur la Syrie المطبوع سنة ١٨٦٠

بنجوم الهدب مع بدرٍ نشئت واستحكمت حسن الليالي
بنو الدحداح أرّخ حكمهُ خيرٌ اشادوا بهمة الباذوالي (١٨١٥)

وقال يؤرّخ وفاة قرينة الشيخ سلوم المشار اليه الثانية واسمها لؤلؤة وهي شقيقة المرحوم المطران عبدالله بليبل ومتيي اساقفة قبرس اذ ذاك والاب انطاليوس بليبل الذي استمرّ ٢٧ سنة متتالية رئيساً عاماً للرهبنة البلدية المارونية :

يا دوحة الوصل على منوّى به   قد أغربت شمسُ الكمال الزاهد
تلك الفتاة بليبليةٌ روضةٌ   قد ازهرت بمناقبٍ ومحامدِ
كم غادرت من بعدها في حسرةٍ   انجالها اشبالَ الفضل والدِ
منصور كم يرثي وغالبكم بها   امسى يساعدهُ مع بشيرٍ ناشدِ
يا خير لؤلؤةٍ فقدناها وما   في الصبر من سلوى القلب الفاقدِ
الأدباء بانها ارّختْ قد   طُلبت لاعلا تاجِ مُلكٍ خالدِ (١٨١٥)

وقد جاء في الديوان المذكور قوله تاريخاً لبناء الدار العظيمة التي شيّدها الشيخ منصور في سفل عرمون وهي المعروفة بدار المربع(١ :

فخرَ الأكارمِ قد ابرزتَ مشيداً   ببناء هذي التحفة المعمورة
دامت مدى الازمان في تاريخها   تزهو بمنصور لنا معمورة (١٢٣٣ هـ)

وقد قال ايضاً فيها وفي قوله تورية باسم ابنه البكر الشيخ ظاهر :

قد شيّد المنصور داراً في حمى   يزهو كفردوس حوى بطيبه
بنائها شمس الهنا والانس لا   برحت على طول الزمان مغيبه
دامت بظاهرها المجد وشمسها   يتمّمُ الحسن لا تزال وفيّه
وعلى مدى الايام دامت ارّخوا   مأمورة معمورة محصنه ١٢٣٦

وقال يهنّىء نفسه في مقابلة الشيخ منصور واخيه الشيخ غالب حين حضورهما الى بيت الدين :

ولما جاء من كانت عيوني   لراعي وجههم ابداً تراقب
فمنّيتُ الفؤاد على توالي   مرجاً جلّ ما قد كنت راغب
وقلتُ جاء منصور حبيبي   فقالوا لي منصورٌ وغالبُ

(١) هي الآن مدرسة مار تقلا خاصة عائلة مراد الحرمونية الذين اشتروها من احفاد الشيخ منصور

وقال ايضاً يمدح الشيخ منصور وقد نال بواسطته هبة جزيلة انعم بها عليه الامير بشير وقد ذكر مع الشيخ اخويه غالباً وبشيراً وابنه البكر ظاهراً :

بأبي حبيبٌ قد حييتُ بقربه   والسعد اقرّ الله فيه ناظري
لا زال منصوراً يسود وغالباً   وبشيرهُ يأتي بخير بشائر
كم في البواطن بهجة منه اذا   ما جاء يروي عن صفاء الظاهر
ولكم اذا ما جاء ينذر بالوصو   ل ليبديها منهُ انشراح الخاطر
فلل الذي لا زال يسمو مقبلاً   في خير عزّ مستديم وافر
في دولة الشهم البشير مليكنا   ربّ المفاخر ذي الجلال الباهر

وقال عن لسان ابنه فتح الله يهنّئ الشيخ غالب شقيق الشيخ منصور بولادة ابنه البكر الذي اشتهر فيما بعد باسم الكونت رشيد (١٨١٣) وذكر ايضاً الشيخ ظاهر بكر انجال الشيخ منصور وكان ولد قبله (١٨١٠):

ولمّا افاض الله من بحر جوده   عليّ بنطق فيه قلّدتُ شاعرا
شدوتُ بها قبلي شدا فيه والدي   وقلتُ مقالاً يجعلُ النظم باهرا
فانّا تباشَرنا ببشر ابن غالب   كما عند منصور سمعنا البشائرا
وغطّى بنجلٍ راشد سالم لــه   كما قد اتى المحروسُ بالسعد ظاهرا

وله قصائد عديدة بمدح الشيخ سلوم واولاده الثلاثة تجدها في ديوانه وقد ظلّ الشيخ منصور في منصبه لغاية سنة ١٨٢٨ . وفيها اراد الامير بشير ان يريح نفسه من عناء الاشغال واذ كان يفضل نجلهُ الامير امين على سائر اولاده اراد ان يرشحهُ لإدارة الاحكام فتقلده مهامّ الامور تحت سيطرته . فسلّم الامير امين ديوان الكتابة الى استاذه الشاعر الحمصي الشهير بطرس كرامه فلم يبقَ من ثمّ شغل للشيخ منصور فاستقال من الخدمة وانصرف الى داره في عرمون بعد ان اثبت لــهُ الامير بشير راتباً يتقاضاهُ كما لو كان في مركزه .

وقد ورد في المشرق (٤ [١٩٠١] : ٣٩٤) كيف استدعاهُ الامير بشير لمّا ضاقت عليه المذاهب سنة ١٨٤٠ يوم عرض عليه السر عسكر العثماني والاميرال الانكليزي الاختيار بين احد الامرين أمّا التسليم لدولتيهما والعدول عن مناصرة المصريين مع بقائه في امارة لبنان هو ونسله من بعده وأمّا ان يُعزل من منصبه . فاستشار الامير الشيخ منصوراً فاشار اليه بالتسليم . ولمّا اعترض عليه الامير بان العساكر المصريّة

موشكة على خراب بيت الدين ان عذلٌ منها اجابهُ الشيخ: « اذا خربت بيت الدين يمكن البلاد ان تجددها وأمّا اذا خربت البلاد أتجددها بيت الدين؟» . على انّ الامير فضّل رأي كاتبهِ بطرس كرامه وكان هذا واثقاً بظفر المصريين فسقط بسقوطهم ونُفي الى مالطة في منتصف تشرين الاول سنة ١٨٤٠ ولم يعد الى لبنان

وفي السنة ١٨٤١ دُعي اصحاب الاقطاع من امراء ومشائخ من جميع الطوائف ليتباحثوا في اختيار امير يتولّى الامر في لبنان من آل شهاب بدلاً من الامير بشير الثالث ابن قاسم ملحم فاختار الشيخ منصور الاميرَ يوسف سعد الدين شهاب حفيد الامير يوسف الحاكم الشهير

الّا انّ الدولة العثمانيّة عيّنت وقتئذٍ (سنة ١٨٤٢) حاكماً تركيّاً وهو عُمَر باشا فسمى هذا باختيار موظّفين مسلحيّين وموارنة ليرضي الفريقين فاتّخذ لمديريّة الاحكام الكاتبيّة الشيخ منصور الدحداح والشيخ خطّار العماد. ثمّ انسحب الشيخ منصور بعد قليل وعاد الى دارهِ في عرمون

وفي السنة ١٨٤٣ قُسم لبنان الى قائمقاميّتين نصرانيّة شمالاً ودرزيّة جنوباً . فكان اول قائمقام مسيحيّ الاميرَ حيدر اسمعيل ابي اللمع فهذا استقدم الشيخ منصور الى بكفيّا ليفاوضهُ في بعض الامور ثمّ صرفهُ ولم يلبث ان تغيّر عليهِ نافاً لساعدتهِ خالهُ المرحوم المطران عبدالله بليبل رئيس اساقفة قبرس على خلاف رضى الامير بتسقيفهِ وهو صاحب مقاطعة القاطع

وكانت وفاة الشيخ منصور سنة ١٨٦١ في عرمون عن ٨٢ عاماً وكان رافق الامير بشير في سفرتهِ الثانية الى مصر سنة ١٨٢٢ كما رافقهُ ابوهُ الشيخ سلّوم في رحلتهِ الاولى الى وادي النيل تحرّد ماجرياتها (اطلب تفاصيل هذه الرحلة في المشرق ١٨ [١٩٢٠]: ٦٨٧ الخ) . وكان سبق الشيخَ منصوراً (١) الى الابديّة اخواهُ الشيخ

---

(١) رُزق الشيخ منصور من امرأته ابنة الشيخ عبّود الدحداح المتوفاة سنة ١٨٨٠ عن ٩٣ عاماً : ١ الشيخ ناصر المتوفى سنة ١٨٦٠ بعد أن تولّى مدّةً تدبير مقاطعة عاقلتو الفتوح . وقد باع اولادهُ دارهم الكبرى المعروفة بالعربة فحوّلها بنو مراد الى مدرسة على اسم مار تقولا . ٢ الشيخ سليم المتوفى سنة ١٨٦٦ في بيروت واحفاده اليوم في بستان خشا من بلاد البترون . ٣ الشيخ مسعود مات عازباً في جورنية سنة ١٩٠٣ . ٤ شمس قرينة الشيخ مارون الدحداح المتوفاة سنة ١٨٨١ . ٥ ملكة قرينة الشيخ لطوف الدحداح توفّيت سنة ١٩٠٦ عن ٩٣ عاماً

غالب (١ المتوفى سنة ١٨١٠ والشيخ بشير (٢ المتوفى سنة ١٨٣٩

لا يسعنا ان نذكر كلّ الذين اشتهروا من المشايخ الدحداحيين وقد روى جناب الاديب الشيخ سليم كثيراً من اخبارهم في المقالة التي جعلها كمقدمة لترجمة الكونت رشيد الدحداح (المشرق ٤ [١٩٠١] : ٣٨٠-٣٩٦) ونشر هناك ايضاً شجرة العائلة وانما نكتفي بذكر بعض الذين اشتهروا منهم في خدمة الوطن والآداب والدين

فمنهم الشيخ ناصيف اخو الشيخ سلّوم الذي تولّى مشيخ ارزاق كسروان وتوفي سنة ١٨١٥ فرثاه المعلم نقولا الترك بابيات ختمها بهذا التاريخ «قد بتُّ من تشرين اوّل في السماء» . وابنه الشيخ طنوس هو الذي قتل في العاقورة سنة ١٨٤٢ فذهب شهيد وطنيّته اللبنانيّة . واشتهر من احفاده الخوري طوبيا المتوفى شهيد الواجب في الاسكندريّة (١٨٤٩) ، والخوري لويس ذو الآثار الطيّبة في خدمة النفوس في رأس بيروت ودير القمر والناصرة († ١٩١٠) . والخوري يوحنا المتوفى في عين سجاع بعد ان خدم العلم والدين مدّة طويلة († ١٩١٩) . وسميُّه ابن اخيه مؤسس دير القديس انطونيوس البادوي في عين سجاع . وهو المشروع الذي اخذ ابن اخيه الخوري طوبيا الحالي على نفسه انجازه وهو لا يزال يسعى في ذلك منذ ١٢ سنة في الولايات المتحدة الاميركيّة متفانياً في خدمة كرم الربّ منذ سيم كاهناً سنة ١٨٧٨ من يد البطريرك يوحنا الحاج في عهد اسقفيّته على بعلبك . ومن سلالة ناصيف ايضاً الشيخ خليل الدحداح المتوفى في هذه السنة بعد ان قضى معظم حياته في فلسطين والقدس الشريف مساعداً للشيخ قبلان الآتي ذكره ثم تولّى في عدة مديريّات في متصرفيّة لبنان القديمة . والمرحوم الشيخ ميلان اخو الخوري لويس وابو المرحومين سليم

ونسلها اليوم في الكفور وبلاط . ٦) نسب قرينة الشيخ راجي الدحداح ثمّ جهجاه الدحداح وهي والدة الشيخ خطار الدحداح الآتي ذكره . ٧) سلطانة قرينة الشيخ شبل الخازن ووالدة سيادة المطران يوسف الخازن الحالي توفيت سنة ١٨٣٩ . ٨) لولوة قرينة الشيخ يوسف غاران الخازن من غوسطا اولاً ثم مرسال رابع الخازن من غزيرة ثانياً توفيت في جونية سنة ١٨٨٦

١) قد مرّ ذكر كمال الشيخ غالب في ترجمة ابنه الكونت رشيد التي نشرها الكاتب المحقق الشيخ سليم الدحداح . فليراجع في المشرق ٤ [١٩٠١] : ٤٢٣-٤٢٨

٢) خلّف ولدين الشيخ طعمه التاجر المشهور المتوفى سنة ١٨٦٩ والشيخ اسكندر المتوفى سنة ١٨٩٥ ولم يعقبا خلفاً

ودحداح . وقد أرّخ دحداحاً سليم بك تقلا بقوله :

فقدنا بدحداحَ غصناً رطيباً أوَرْنَهُ رياحُ القضا فالثرى
بكتهُ العيونُ فلا غروَ إنْ بكتْ ارّخوهُ لنِعمَ ذرى (١٨٨٦)

واشتهر من نسل الشيخ يوسف شقيق الشيخ سلّوم المتوفى سنة ١٨٠٥ ابنهُ الشيخ امين تلميذ بطرس كرامه الذي خدم الامير بشير الكبير في بيت الدين ثمَّ الاميرين اللمعيين حيدر اسمعيل وبشير احمد ولهُ كتابات وآثار باقية في بكفيا في سراية الامراء توفي سنة ١٨٧٥ . وفي ديواني بطرس كرامه والمطران جرمانوس الشمالي قصائد في مدحه . وقد تقلّب ابنهُ الشيخ اسد في عدَّة مناصب في خدمة لبنان مدَّة ٤٧ سنة وكانت وفاتهُ في منتصف شباط ١٩٢١ دون عقب

والشقيق الثالث للشيخ سلّوم هو الشيخ ابرهيم الذي برع في علم الشريعة وتولى القضاء في عهد الامير بشير الكبير (+١٨٣٤) . وابنهُ الشيخ موسى الذي لقّبهُ معاصروهُ بلسان النصارى اشتهر ايضاً في عهد الامير بشير ثمَّ صار كاتخية للامير اللمعي بشير احمد قائمقام النصارى الثاني توفي سنة ١٨٧٣ في بعلبك وقد أرّخ نقولا الترك الدار التي بناها في عرمون واجرى اليها ماء فقال :

سامي المناقب والسجايا شاد في عرمونَ داراً ذاتَ حسنٍ معجبِ
دامت مباركةً بابراهيمها وبنابهِ موسى الفتى المهذَّبِ
نالت بهاء حين زان جمالها تشييدُ نادِ ذي مناخٍ طيّبِ
وبه سبيلٌ مُحكمٌ ارّخ لهُ اجرى لنا ماء شهيَّ المشربِ (١٨١٦)

وهذه الدار هي اليوم مركز اسقفيَّة بعلبك كان اشتراها المرحوم قبلان بك الخازن من احفاد الشيخ ابرهيم بعد سنة ١٨٦٠ ثمَّ اشتراها الطيب الذكر البطريرك يوحنا الحاج في عهد اسقفيتهِ على بعلبك سنة ١٨٨٠ فجعلها مقاماً لابرشيتهِ

ومن نسل الشيخ راشد وهو شقيق رابع للشيخ سلّوم حفيداهُ راشد سبأ الذي تولى قسماً من مساحة متصرفيَّة لبنان القديمة وتعيَّن مديراً لدير القمر ونواحي اخرى ووكيلاً لقائمقامية كسروان وترأس مرَّتين مجلس استئناف لبنان توفي سنة ١٨٩٢ . وقبلان الذي استلم مهامَّ البطريركيَّة اللاتينيَّة في القدس وتعاطى امورها الرسميَّة مع الحكومة ٣٧ سنة من السنة ١٨٥٢ الى سنة وفاته ١٨٨٩ واسمهُ لا يزال مشهوراً

هناك الى يومنا عند الجميع . وقد أرّخهُ المرحوم موسى صفير بهذه الابيات :

حلَّ المصابُ بآل دحداحٍ لقد فقدوا الذي عذبت طهارةُ قلبهِ
ما زال للانام اعظم قدوة في الفضل حتى حجيرهُ بقربهِ
ملكُ النُّهى فيا يؤرّخ قائلٌ فبلانَ قد قبلَ الرضا من ربّهِ (١٨٨٦)

وكلّ هؤلاء الـذين ذكرناهم ينتهي اصلهم الى موسى الـدحداح وهو ثالث الفروع الاربعة للدحادحة والاكثر عدداً ولا تخلو الفروع الأخرى من الافاضل فمن الفرع الثاني كان الشيخ مرعي الذي نُشرت ترجمته في المشرق ٤[١٩٠١] : ٦٠٩—٦١٠) توفي في الكفور سنة ١٨٦٨ فقال الشيخ ناصيف اليازجي يرثيه :

مضى الشيخُ مرعي راحلاً عن دياره ولكن ثناً بالشام لهُ قبرُ
همامٌ تحلّى بالعبادات نفسهِ وتمَّ له من بعدها المجدُ والفخرُ
اذا زرتَ مثواهُ فأرّخ وقل به عليك الرضى والعفو يا أيها القبرُ

وقد ارّخ ايضاً قرينته أمون ابنة حنّا منصور الدحداح .

تركتْ ديار الشيخ مرعي بعلها ومضت الى دار النعيم الزاهرهْ
تلك التي تدعى امينة وهي من كلّ العيوب امينةٌ متطاهرهْ
حلّت عليها رحمةُ الله التي تشفي ثراها كالغوادي الماطرهْ
ولكلّ ما عملت به من طاعةٍ في كلّ تاريخ تتمّ الطاهرهْ (١٨٦٦)

ومن احفاده الشيخان اسكندر المتوفّى سنة ١٩١٢ والذي تولّى مأموريات عديدة في القدس ويافا ودمشق وبيروت . ثمّ الدكتور رشيد تلميذ كليّة الآباء اليسوعيين وهو مقيم في بيرونية حالاً

ومن هذا الفرع الشيخ سجعان بن بشير الذي حصل على جانب من العلوم الشرعيّة والشهير بحسن ادارته على عهد كثير من الامراء الشهابيين توفي في قائمقاميّة قضاء البترون سنة ١٨٩٦ . والشيخ فرنسيس الذي ولّاهُ الامير بشير على بلاد جبيل فتوفي في عنفوان الشباب سنة ١٨٢٥ واخوهُ لطوف متولي مقاطعة الفتوح توفّاه الله سنة ١٨٥٢

ويشرّف سلالة هـذا الفرع حالاً الخوري يوسف الدحداح المرسل البطريركي في اوسترالية حيث خدم طائفته في سدني خدماً جليلة بنشاط لم يعرف مللاً ولا سأماً

منذ ثلاثين سنة فاكتسب ثقة المهاجرين والوطنيين معاً وقد ألّف بالانكليزية كتاباً عن الملة المارونيّة

وقد اشتهر من نسل ابرهيم وهو الفرع الأوّل من اسرة المشائخ الدحادحة المتوفّى سنة ١٧٣٠ الشيخ فيّاض كان طبيباً وفارساً واديباً محبّاً للاسفار مشغوفاً بمعرفة احوال الدنيا توفّي في طرابلس سنة ١٨٨٣

وكذلك اشتهر من سلالة وهبة المتوفّى سنة ١٨٠٥ وهو الفرع الاخير من الأسرة الدحداحيّة المرحوم خليل يوسف الدحداح سنة ١٩١٩ المتوفّى في بلاط قريباً من جبيل حيث يسكن اهلهم وكان متضلعاً بالعلوم العربيّة والشرعيّة . ومن اولاده الشيخ درويش احد مأموري ادارة الأمن العام في المفوضيّة العليا

وكان رأس الفرع الرابع من مشائخ بني دحداح الشيخ منصور يوسف المتوفى سنة ١٧٨٠ سبق ذكره وذكر اولاده في مقالة المشرق الآنف ذكرها (٤ : ٣٩٢) . وكان احفاده اولاد ابنه الوحيد حنا ثلاثة الشيخ منصور المتوفّى اعزب في بيروت سنة ١٨٦٢ ولويس المتوفى في عرمون سنة ١٨٣٥ ورجباء المتوفّى في قب الياس سنة ١٨٤٠ وهو والد خطّار الذي سنترجمهُ قريباً

ومن عائلة آل الدحداح قبل توطّنها عرمون المطران جرجس الدحداح الذي عاش في الجيل السابع عشر . وفي العاقورة كنيسة على اسم الشهيد مار جرجس سمي الدحادحة بناتها . هذا فضلاً عن وقفياتهم تخصّ منها بالذكر وقفيات سيدة الحقلة التي يتولى تدبيرها بيت ديب من دلبتا ومار دومط في البوار التي يديرها بيت ضو . يشهد على ذلك حكم مجمع اللويزة سنة ١٨١٨ حيث اعترف الآباء وهم السيد البطريرك يوسف التيّان ثم نيابة القاصد الرسولي لويس لوزانّا ويوحنا مارون مطران حماة والوكيل البطريركي بحقوق آل الدحداح بالولاية الزمنيّة على القامتين المذكورين وباتّفاقهم المحاماة عنها وسائر الامتيازات الممنوحة من المجمع التريدنتيني لاصحاب الولايات وقد تقرّر ذلك بموجب صك حُرّر في ٢٦ تشرين الاول سنة ١٨١٨ وفقاً لطلب الشيخين فرنسيس وطنوس الدحداح بالاصالة عن انفسهما وبالوكالة عن باقي اسرتهما

ومن اوقاف الشيخ منصور يوسف الدحداح حارثة المعروفة بدير البنات التي كان نالها من الامير يوسف شهاب الحاكم اوقفها على الرهبنة اللبنانيّة المارونيّة سنة

١٧٩٠ وهي اليوم مركز الرئيس العام للرهبنة المذكورة . ولوقف ابنة الشيخ حنّا على الرهبنة ذاتها حارتة واملاكها الواقعة عند بوّابة جبيل بموجب وثيقة حرّرها القس ميخائيل خادم البنات في ١٠ آب ١٧١٠ . وعلى باب كنيسة مار جرجس في الكفور الابيات التي تشهد لهم ببنائها :

قامت بسعي بني سلمان الذي هم من كرام عشيرة الدحداح
للأبيض القمر الذي بجهاده في الارض فاز بمأمن الارواح
وتؤرخ ذي التاريخ فيها يمنة تتلو السلام عليه كل صباح

ومثلها كنيسة سيّدة النجاة القديمة في عين قبيل بالاشتراك مع عائلة قرقماز وقد بقي ان نذكر ورقة وقعت في يدنا بختم محمّد منيب امير لواء العساكر الشاهانيّة في ١٩/٥ سنة ٥٨ (كذا) يدّعي فيها كاتبها ان بيت الدحداح اجتمعوا بالدروز فافسدوا البلاد فيحذّر الكاتب مأموريه من غشّهم ويثني على المشايخ بيت الخازن ووطنيّتهم ويحرّضهم بالقاء القبض عليهم . الّا انّنا بعد مراجعة الورقة المذكورة استدللنا على تزويرها من اوجه عديدة كاستعمالها الارقام المتمدّنة على خلاف عادة الاتراك وذكرها الدروز بصفة عائلة وانهم في كسروان وليس منهم فيها احد . أمّا الفساد المشار اليه فلا اصل له وانّما يعرّض بأمر يحقّ لآل الدحداح الفخر فيه وبه خدموا الوطن خدمة تذكر وذلك حركتهم مع الطائفة الدرزيّة ضدّ تنصيب عمر باشا وطلبهم بان يُقام حاكم وطني لبناني للحكم على الجبل فتأمّل

وبعد هذا النظر العمومي عن آل الدحداح دعنا نترجم واحداً منهم فُجع به الوطن تريد به

الشيخ خطار جهجاه الدحداح

هو ابن الشيخ جهجاه الآنف ذكرهُ . كان ابوهُ اشترك في حوادث المختارة سنة ١٨٢٥ فهرب هائماً على وجهه الى حوران ثمّ الى حمص وحلب وهناك افترق عن صهره الشيخ مرعي الذي سافر الى فرنسة وعاد هو الى لبنان سنة ١٨٣٣ وبعد ان قضى مدّة فيها أبحر الى فرنسة مع شقيقته واولادها ثم اقترن سنة ١٨٣٥ بعد رجوعه بنسيم الدحداح ارملة الشيخ راجي الدحداح . فولدت له في شباط سنة ١٨٤٠ ابنها

الوحيد الشيخ خطّار الذي عليه مدار كلامنا

وفي سنة مولده حضرت الى جونية اساطيل الدول المحالفة للدولة العثمانيّة لطاردة الجيوش المصريّة المحتلة في الشام . فنزل الشيخ جهجاه مع رجال الفترح لناصرة الدول ومناهضة ابراهيم باشا وحليفه الامير بشير . وكانت الدول المتحالفة اقامت على حكومة لبنان سميّ الامير بشير الكبير اعني الامير بشير الثالث قاسم ملحم المعروف بابي طحين فرافقه الشيخ جهجاه مع الفتوحيين ومشايخ الدحداح ذوي الإقطاع وتعقّبوا آثار ابرهيم باشا في رجوعهِ الى مصر عن طريق البقاع . ولمّا وصلوا الى قب الياس مرض الشيخ جهجاه ومات بعد أيام قليلة في تشرين الاول من السنة ١٨٤٠ فدُفن في كنيسة القطوش الرهبنة الانطونيّة

فاصبح خطّار يتيماً وأمّهُ ارملة تاتي مرّة في الرابعة والعشرين من عمرها فاجمعت قولها وعُنيت بتربية وحيدها على اصول الدين المسيحيّ وكان اسم الولد في العموديّة لويس دعاهُ بهِ ابوهُ ذكرًا لاخيهِ الشيخ لويس المتوفى قبل خمس سنوات فانتقلت أمّهُ مع سلفها وحماتها على تسميتهِ بخطّار وحفظ اسم لويس كاسم العماد

وفي السنة ١٨٥٣ ادخلتهُ والدتهُ مدرسة عينطورا للآباء اللعازريين فتخرّج في آدابها الى السنة ١٨٥٨ . وكانت العادة جارية آنئذٍ في تلك المدرسة ان يدخل التلامذة في اول تشرين الثاني فيقضون سبعة اشهر فيها ثمّ ينتقلون الى ريفون في حزيران الى غاية آب وينصرفون الى اهلهم في شهري ايلول وتشرين الاول للعطلة المدرسيّة . فكانت والدة خطّار لا تصبر على ابتعاد ابنها عنها فكانت تنتقل معهُ فتسكن عينطورا وريفون ثمّ تقضي الفرصة السنويّة في عرمون مع سلفها او في الكفور عند شقيقتها

انهى خطّار دروسهُ الثانويّة في آخر آب سنة ١٨٥٨ على عهد رئيس المدرسة الاب اتيان ديبار (E. Depeyre) الشيخ (المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٦٣٩) . وكان بلغ بهمّتهِ عدد تلامذتها الستة فلم يعودوا ينتقلون في شهور الصيف الى ريفون لكثرتهم . وصادف زمن خروجهِ ثورة طانيوس شاهين سعادة وفلاحي كسروان على مشايخ بيت الخازن . فخاف آل دحداح ان تمتدّ الحركة الى عرمون والفترح فنزل الشاب الى بيروت حيث كانت أمّهُ تسكن وتنتظرهُ بفروغ الصبر . فلمّا وصل راكباً الى عين

حراش يقودهُ مكار من بيت آصاف من حرمون التقى بفئة من رجال الثورة فلاح لهم انهُ من اولاد المشايخ وحاولوا الفتك بهِ الّا انهُ نجا من يدهم بواسطة جأش المكاري. واتفق ان زعيم الثورة طانيوس شاهين كان عرفهُ في مدرسة عينطورا فردّ عنهُ رجالهُ وصرفهُ مكرّماً بعد ان رغب اليهِ ان يطلعهُ على مضامين بعض الرسالات التي كانت وصلت اليهِ وكان من جملتها كتاب من البطريركيَّة المارونيَّة بلومونهُ فيهِ على تعدّي رجالهِ على اوقاف دير الروق الخاصَّة بيت الخازن ويحظرون عليهِ مسيس الاوقاف ايَّة كانت

قضى خطّار سنتي ١٨٥٩ و ١٨٦٠ في بيروت لم يرجع الى كسروان لاضطراب احوالها . وانفةً من البطالة انشأ على حسابهِ مدرسة . وحضر في تلك الاثناء اسطول فرنساوي للدفاع عن نصارى الشام كان يقودهُ الاميرال دي لا رُنسيار ليزودي فنزل رئيس عينطورا لزيارتهِ واوصاهُ بالشيخ خطّار فعيّنهُ تَرجمان في خدمتهِ واقامةً معهُ في بارجتهِ الى نهاية الاحتلال الفرنساوي فسار في صحبتهم الى صيداء والى اسا كل لبنان حتى الرمير وكان يأنس بهِ ابنُ اخي الاميرال وهو بِرتوبهُ

وفي كانون الثاني ١٨٦١ اقترن بمريم ابنة خالهِ ضاهر وبعد انصراف الاسطول الفرنساوي استوطن بيروت وسكنها الى آخر الصيف من السنة ١٨٧٣ . ففي اثنائها انتدبهُ ارباب المدارس للتعليم في معاهدهم فعلّم سنتين في مدرسة الثلاثة الاقمار الارثذكسيَّة وعلّم في السنة ١٨٦٦ في المدرسة البطريركيَّة للروم الكاثوليك . وكان اخصّ تعليمهِ في مدرسة المرحوم بطرس البستاني الوطنيَّة فدرّس فيها اللغة الفرنسويَّة عشر سنين وتولّى نظارة دروسها . وفي اوّل اندماجهِ فيها حظي بمعرفة المرحوم الامير محمّد امين ارسلان آخر قائمقام لبنان الجنوبي فاستدعاهُ لتدريس اللغة الفرنسويَّة لشقيقهِ الامير مصطفى فتوثّقت مذ ذاك الحين الصداقة بينهما وثبتا عليها طول حياتهما

وفي صيف السنة ١٨٧٣ قُلّد رستم باشا متصرفيَّة لبنان فعيّن الامير مصطفى قائمقاماً لقضاء الشوف وعيّن الشيخ خطّار رئيساً لكتبة قلم التحريرات الاجنبيَّة فلبث في هذه الوظيفة الى غاية كانون الثاني ١٨٨٠ . وكان مع شغلهِ هذا يتخذ التعزّف ملهياً للكتابة السرايه . وقد لعب دوراً يذكر في عهد رؤساء مجلس الادارة الذين لم يعرفوا اللغة الفرنسويَّة كمشرّف بك عشون والامير امين منصور ابي اللمع

وفي آخر كانون الثاني ١٨٨٠ اضطرّته معاكسة بعض الخصوم الى ترك وظيفته فعاد الى بيروت وتعاطى مهنة التدريس في مدارس بيروت المختلفة بينا كان يتولّى التحرير والترجمة في جريدة المصباح في اوّل نشأتها . وكان مع مزاولته التدريس يشتغل بتعريب الجرائد الفرنسويّة وتأليف المقالات لجريدة الجنّة ومجلّة الجنان اللتين انشأهما البستانيّون في اوّل سنة ١٨٧٠ ونشر تحت امضائه تاريخ فرنسا الحديث الى سقوط نابوليون فانقطع من تتميمه في أيار ١٨٧٣ . فتابع سليم بطرس البستاني نشره ثمّ طبعهُ شقيقة نجيب سنة ١٨٨٥ الاّ انهُ في المقدّمة قد اخطأ بذكره لشغل الشيخ خطّار فلم يذكر لهُ سوى مئة صفحة على خلاف ما ترى في اعداد الجنان المضاة باسم الشيخ فانّها تبلغ ٢٣٩ صفحة . فاقتضى التنبيه

وفي تشرين الاول ١٨٨٢ طلبته جمعية الروم الارثوذكس الطرابلسيّة وسلّمته ادارة مدرستها الداخلية في كفتين فقضى فيها سنة وكان ابنه الاكبر المرحوم يوسف استاذاً للفرنسوية فيها تحت ادارته وفي آب ١٨٨٤ عيّنته عمدة المعارف في بيروت التي كانت برئاسة والي سوريا المرحوم حمدي باشا مديراً بالوكالة للمدرسة السلطانية واستاذاً اول للفرنسوية فيها ثمّ تركها في آخر آب سنة ١٨٨٦ وعاد للتدريس في بيته وفي مدرسة الروم الارثوذكس . وكان آخر عهده للتعليم فيها فعدل عن مهنة التدريس نهائياً في اواخر حزيران ١٨٨٧ اذ تعيّن عضواً لمحكمة قضاء الشوف في لبنان في مدة واصه باشا وقائمقاميّة تلميذه نسيب بك جنبلاط الاولى على الشوف

وفي ايلول ١٨٨٨ نقله واصه باشا الى عضوية محكمة قضاء كسروان وكان القائمقام حينئذ المرحوم الامير يوسف اسعيل ابي اللمع حفيد قائمقام النصارى الامير حيدر اسمعيل وفي حزيران ١٨٩١ تقرّر اعطاء عضوية محكمة كسروان لطائفة الروم الارثوذكس فأعيد الشيخ خطار الى عضوية محكمة الشوف فلبث فيها الى ٢٦ تموز ١٨٩٣ . وفي تلك الاثناء مات واصه باشا وخلفه نعوم باشا وأُسندت قائمقامية الشوف للشيخ سعيد حمدان ثم الى الامير مصطفى ارسلان فارتأى نقل الشيخ خطار الى مديريّة الغرب الشمالي فأدارها الى نهاية شباط سنة ١٨٩٩ . وفيها نقلهُ المتصرف الى مديريّة حصرون في قضاء البترون فتولاها الى اواسط شهر آب ثمّ اضطرّ الى مغادرة الوظائف واعتزال الاشغال الى زمن يوسف فرنكو باشا فولّاه مديريّة ناحية الزوق في

تشرين الاول سنة ١٩٠٧ . وفي تموز سنة ١٩١٢ عيّنه اوهانس باشا مديرًا لناحية الشحّار بناء على ابا، تلميذه القديم نسيب بك جنبلاط في مدة قائمقاميته الاخيرة وقد كانا اصبحا شيخين متقدّمين في السنّ . وبعد قليل اي في كانون الثاني سنة ١٩١٣ تنحّى نسيب بك عن القائمقامية فخلفهُ في منصبهِ الامير توفيق وكان خصمًا لنسيب بك والامير مصطفى ولعلهُ بالصداقة العظيمة التي تربطهما بالشيخ خطار اخذ يطعن بهِ ويثير عليهِ الضغائن رجاء ان يحملهُ على الاستقالة فخاب املهُ وجنح اخيرًا للحقّ وعرف صدق الشيخ واستقامتهُ فعدل عن مقاومتهِ وتقرّب اليهِ وهو الذي اقنع اوهانس باشا سنة ١٩١٥ بان يرسلهُ مديرًا للغرب الشمالي بدلًا من مديريّة الزوق (كسروان) التي كان الشيخ يفضل الاستقالة عن تدبيرها . وفي اثناء وجوده في الشحّار بعد دخول الدولة العثمانية في الحرب تمكّن بالجهد الكلّي بابقاء دير الاباء الكبوشيين في عبيه ومدرسة راهبات قلبي يسوع ومريم في معلّقة الدامور مفتوحتين وبتسليمها اصحابها المذكورين

وكانت الحرب الكونيّة قد اضطرم سعيرها فمثلت في قلبهِ تلك المشاهد الفجيعة التي أُصيب بها وطنهُ باحتلال الاتراك في لبنان وتأثّرت صحّتهُ من جرّاء ذلك ولاسيما لما كانوا يشيعونهُ من انكسار الفرنسويين اصدقائهِ . وكانت لديهِ آثار عديدة من صداقتهم عزيزة عليهِ فاسرع الى ملاشاتها . وفي منتصف سنة ١٩١٦ قدَّم استقالتهُ الى المتصرّف عليّ منيف بك وتوجّه الى كسروان دون انتظار جوابهِ فلم يرضَ المتصرّف بذلك بل امرهُ بالرجوع الى مركزه ولم يبلغهُ بالاتفاق مع قائمقام الشوف الامير عادل ارسلان امر الوزارة الداخليّة ووزارة المالية باحالتهِ على التقاعد فعاد الى المديرية في ايلول مكرهًا . لكنّهُ عاد الى كسروان بالرخصة لما توجّه سنة ١٩١٧ علي منيف الى الاستانة بصفة ناظر للنافعة . وبقي هناك طالبًا احالتهُ على التقاعد من الامير فؤاد شهاب قائمقام الشوف وقد كان وقتئذٍ اتمّ السنة ٧٧ من عمره

وظلّ من ذلك الحين ملازمًا بيتهُ تارة في كسروان واحيانًا قليلة في بيروت متفكرًا بالاستعداد الى ملاقاة ربهِ وقد كان سروره عظيمًا بحدوث الاحتلال الفرنسوي لانه منذ نشأتهِ ربي على حبّ فرنسا ولكنّهُ لم يخرج من عزلته اذ انه لم يعد يفتكر في حوادث العالم هذا . واخيرًا على اثر حادث فجائي وقع لهُ في اواخر تموز ١٩٢٢ لازم الفراش ولكن بدون مرض خاصّ فلم يشأ اطبّاؤه ان يصفوا له

دواء . وفي صباح الثلثاء ٢٢ آب سنة ١٩٢٢ عند الفجر فاضت روحه بعد ان كان اثناء مرضه اتمّ واجباته الدينيّة عدّة مرار وكان الكاهن قد اعطاه المسحة الاخيرة يوم الاحد في ٢٠ منه . ويوم الاربعاء في ٢٣ منه صُلّي عليه في جونية ونقلت بعد ذلك جثته الى بلاط موطن قسم من المشايخ الدحادحة فصُلّي عليها ثانية ودفن بعد ذلك في كنيسة القديس الياس خاصّة فرع هؤلاء المشايخ المقيم في بلاط . وقد ابّنه هناك الياس افندي مترون المعلوف احد اعضاء محكمة كسروان سابقاً وقد نظم الشاعر بولس افندي زين رئيس محكمة كسروان ومحكمة جزين ومدير مطبعة لبنان الرسمية سابقاً هذه الابيات تاريخاً لوفاته

خطّار جهبذ دحداحٍ ثوى لذا ... عليه يبكي من فرط الاسى قلبُهُ
قد كان ذا سمعةٍ في العلم عاطرة ... مكرّماً والملا الاشراف تحزّبه
مضى فقيداً حميداً فضلَ خالقهِ ... ارّخ لهُ فيه اجرُ الحمدِ يكتسبهُ (١٩٢٢)

﴿وصف طباعه﴾ كان المرحوم الشيخ خطّار مثالاً للجدّ والهمّة محبّا للعلم اميناً في الصداقة مستقيماً في المعاملات . وقد بلغ من العفّة والنزاهة مبلغاً بعيداً حتى انهُ مات ولم يترك مالاً ولا عقاراً بعد ان كان ورث من ابيه وعن والدته سهماً جيداً فضلاً عمّا ربحهُ بشغلهِ ايام تدريسهِ في بيروت وتحريرهِ في صحافتها . وقد اشتهر خصوصاً بثباتهِ على المبدإ واخلاصهِ لاصدقائهِ ونفورهِ من دسائس الاحزاب ولهذا لم ينل ما كان يحقّ لهُ من التقدّم مع اقتدارهِ على الاعمال المختلفة لعدم انتمائهِ الى ايّ حزبٍ سياسيّ من احزاب لبنان . وزد على ذلك انهُ كان يبغض المباهاة والتداخل بما لا يعنيهِ من الامور . ومن صفاتهِ المحمودة صبرهُ على آلام الحياة وخصوصاً على فقد زوجته (†١٨٨٧) ووالدتهِ (†١٧٩٢؟) واولادهِ مسلّماً لمشيئة الله

﴿تديّنهُ﴾ عُرف الشيخ خطّار بتديّنهِ وتقاه . فانهُ كان عريقاً في دين اجدادهِ متشبثاً بتعاليم طائفتهِ قائماً بواجباتهِ الدينيّة احسن قيام . وكان من اقدم اعضاء اخويّة الحبل بلا دنس في دير الآباء اليسوعيين في بيروت وثبت الى آخر انفاسهِ مجاهراً بمعتقدهِ . وعلى دينهِ هذا سعى بتربية اولادهِ

وكان مع قلّة ذات يدهِ كريماً محسناً الى الفقراء . ولمّا أنشئت في بيروت جمعية مار منصور دي بول كان من جملة اوّل الطالبين الانتماء اليها

﴿اولاده﴾ رزق الشيخ خطّار من زوجتهِ مريم ابنة خالهِ ثمانية اولاد خمسة ذكور وثلاث اناث . فالذكور مات ثلثة منهم . مات احدهم صغيرًا وهو ابن في الثانية او الثالثة من عمرهِ في رأس السنة ١٨٧٠ ودُفن في كنيسة عبالة . ومات الثاني وهو بكرهُ الشيخ يوسف في ٣٠ ايلول سنة ١٨٩١ في قرية الفينة وفيها دُفن . وكان يوسف وُلد في ٢٠ آب سنة ١٨٦٤ وتخرّج في مدرسة عينطورة (١٨٧٦–١٨٨١) فكان من ابرع تلامذتها . علّم في مدرستي مار لويس بغزير وكفتين وكتب في قلم التحريرات الاجنبيّة على عهد واصه باشا ثم انتدبتهُ حكومة تونس في اواخر سنة ١٨٨٥ كترجمان لمساحة املاكها فتمّ اشغالها نحو اربع سنوات وسافر الى الجزائر وفرنسة واجتمع باقاربهِ فيها فدارت بينهُ وبينهم مكاتبات وقصائد فرنسويّة . تدلّ على مقدرتهِ في الكتابة وقد شهد لها رئيس الآباء اللعازريين في عينطورة الاب سالياج واثنى على براعتهِ واتخذ مدرستهم مثله وتلطّف بقبول بعض اشراف الدروز في المدرسة اكرامًا له مع عدم استيفائهم شروطها . وقد ارّخ وفاته الشاعر عيسى افندي اسكندر المعلوف :

فقدتم يا بني الدحداح فذةَ جهابذٍ ... فشابت له الاكباد والدمعُ مدرارُ
فبعدًا لدنيا الغرور الغرّ يوم زنتها ... الى جنة الفردوس يوسف خطّارُ (١٨٩١)

امّا الثالث من ابنائهِ الشيخ خليل فولد في ١٩ تشرين الثاني ١٨٧٧ . تعلّم في كليّة الآباء اليسوعيين في بيروت (١٨٨٩–١٨٩٢) ثم درس الفصاحة سنة في عينطورة . وقضى ثلاث سنوات متنقلًا بين بيروت وسوق الغرب حيث كان والدهُ مديرًا . فاجأه الموت وهو لم يتجاوز الربيع التاسع عشر من حياتهِ فتوفي في بيروت في ٢ كانون الثاني ١٨٩٧ . وكان اديبًا دمث الاخلاق محببًا الى الجميع عريقًا في التقى ذا رأيٍ صائبٍ مع صغر سنّهِ . ولما احسّ بقرب الوفاة طلب من تلقاء نفسه الكاهن وكان يعزّي اهله وهو على فراش الموت وقد رثاهُ كثيرون من الشعراء . منهم الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف فقال من ابياتهِ :

هذا الذي حلّ الثرى باكرًا ... فحزنٌ عليهِ مديدٌ طويلُ
لهُ صفاتٌ عُزّزت قدرَهُ ... يحسن ذكرٌ كالنسيم العليلُ
فبحقّ خطّار بكى سالمًا ... من آل دحداح فؤاد الخليلُ

لكنهُ في جنةٍ باسمٌ مقبتنا فيها يظلٌ ظليلُ
يا آل الكرام كفوا البكا وكفكفوا الاسى بصبرٍ جميلْ

وقد بقي من اولاد الشيخ خطار نسيب وهو سمي الاخ الصغير المتوفى يقيم الآن في جونية ولهُ فيها صيدليَّة . والشيخ سليم المعروف بعلمهِ وآدابهِ ولهُ وظيفة في حكومة لبنان الكبير ولهُ ثلاثة اولاد ذكور

اما البنات فثلاث وكلهن في قيد الحياة : ليزا ارملة الشيخ راشد بشير الخوري من رشميا . واموني ارملة الشيخ داود الشاعر وهي مقيمة مع اخويها . وألماسة قرينة الشيخ اسكندر محمود الخوري في رشميا

﴿ تآليفه ﴾ كان الشيخ خطار في سني تدريسهِ في بيروت مولعاً بالكتابة والتأليف . وقد ذكرنا ما اداهُ من الخدم للصحافة البيروتيَّة . وكذلك افادنا احد الاخوة اليسوعيين انهُ اشتغل مدةً في مطبعتهم . اما تآليفهُ المطولة فلم يُطبع منها سوى تاريخ فرنسة الحديث السابق ذكرهُ . ثمَّ تأليف في مبادئ اللغة الفرنسويَّة نشرهُ سنة ١٨٨٦

اما مصنفاتهُ التي لم تُنشر فتاريخ واسع لفرنسة في اربعة مجلدات افتتحهُ بذكر الفتح الروماني لغاليا على يد يوليوس قيصر سنة ٥٨ قبل المسيح وانتهى بهِ الى السنة ١٨٨٠ وقد سعى في طبعهِ في المطبعة الادبيَّة للمرحوم خليل سركيس ونشر الاعلانات ووصولات الاشتراكات فيهِ الَّا انَّ مراقبة المطبوعات العثمانيَّة في الاستانة لم ترضَ بنشرهِ الَّا تحت شروط باهظة استثقلها المؤلف ولم تقبل تفويض فحص الكتاب الى معارف سوريَّة ومعارف ولاية بيروت . ولما نشبت الحرب العموميَّة اضطرَّ الى ملاشاة عملهِ لقرب وجودهِ من الديوان الحربي

ومن تآليفهِ المخطوطة عدة روايات عرَّبها من الافرنسيَّة ثمَّ عُني بتمثيلها كرواية يوسف الحسن ورواية اوغسطس اي بينّا للشاعر كورنيل ورواية استير للشاعر راسين . ورواية افيجيني لهُ ايضاً . وكان يفوّض بنظم ابياتها لبعض الشعراء كالشيخ ناصيف اليازجي والعالم ابرهيم ناصيف عطيَّة وهو لم يزل حيًّا

وقد ترك ايضاً مخطوطين مطوَّلين احدهما قراماطيق فرنسوي والآخر مخاطبات فرنسويَّة وعربيَّة

وكان المرحوم يحسن التعليم ويقرّب المعلومات الى عقول تلامذته . والدليل عليه المدارس العديدة التي وكلت اليه هذه المهنة . وكان في الغالب يدرّس اللغة الفرنسويّة وهو متقنٌ لها ايّ اتقان . وقد اشتهر كثيرون من تلامذته وبلث اكثرهم مخلصين له الودّة كالمرحوم الامير مصطفى ارسلان ونجليه الاميرين امين كبير الطائفة الدرزيّة حالًا ومحمّد شهيد الدستور العثماني وكالمرحومين خليل شحاده وعزيز القيماني (من تلامذة مدرسة الثلثة الاقمار) والمرحومين نجيب بطرس البستاني ونسيب بك جنبلاط وجرجي مترّي سرسق وسليم بك أيوب . وكالوزير العثماني سليمان البستاني ونخله بك التويني (وكلهم من تلامذته في المدرسة الوطنية) وكنعان بك حبيش والمرحوم الامير فريد نجيب الشهاب (من تلامذة المدرسة البطريركيّة) . وكدولة محمّد علي بك العابد ناظر ماليّة الاتحاد السوري واوّل سفير كبير عثماني في اميركا . ومحمّد رؤوف بك الأيوبي احد رجال دولة دمشق (من تلامذة المكتب السلطاني) وكالمرحوم الدكتور شمعون بك مويال اليافوي (من المدرسة الاسرائيليّة) وقد ذكر هذا في جريدته صوت العثمانيّة سنة ١٩١٤ ما يكنّهُ صدرهُ من المعروف لاستاذه القديم

هذه نبذة وجيزة زففناها لاهل لبنان الكبير ليقدّروا ما لبعض معاصريهم من الفضل على هذه الاوطان العزيزة فما تبعث في قلوبهم الرغبة في خدمتها على مثاله بنشاط واخلاص تحت مراعاة الانتداب الفرنسويّ الذي كان هو يتوق اليه

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

تتمة حرف الكاف

٦٧٨ ﴿ كرديس ﴾ كذا وجدنا اسمهُ في كتاب في مكتبة الروم الكاثوليك في حلب : وهو « ردّ على الشرقيّين المنفصلين عن الكنيسة الكاثوليكيّة مؤلّفه

كوديس. وهو منقول الى العربيَّة في القرن الثامن عشر

ـــ كورنيليوس المجري ـــ الكاتب المجري

٦٧٩ ﴿ كوش ﴾ الاب فيلبوس المرسل اليسوعي توفي في بكفيا في ٢٧ آب ١٨٩٥. له في مكتبتنا الشرقيَّة نسخة من قاموسه العربي الفرنساوي الذي طُبع بعد ذلك في مطبعتنا سنة ١٨٦٢ وهي في مجلَّدين مع زيادات شتى

٦٨٠ ﴿ كوكويه ﴾ الفقيه الفرنسوي انطونين (Ant. Goguyer) المتوفى سنة ١٩٠٩ في مسقط. قضى قسماً من حياته منوطاً بمجلس تونس الشرعي ومحكمتها وألَّف عدَّة تآليف في الشرع الاسلامي بالفرنسويَّة وانشأ مكتبة غنيَّة بكتب الفقه العربي ورثها من بعده كلِّيَّتنا فوجدنا له بعض المخطوطات في مباحث فقهيَّة ولغويَّات اسلاميَّة ورسائل لغويَّة تدلُّ على براعته في فنون العرب

٦٨١ ﴿ كولين ﴾ الاب فرنسوا الاسبانيّ اليسوعي (P. Collin) المتوفى في جزائر الفيلبين سنة ١٦٩٠. ألَّف في الاسبانيَّة سيرة القديس الفونس رودريكس اليسوعي نقلها الى العربيَّة بمساعدة الاستاذ رشيد الشرتوني لاب فكتور دي كوبيه سنة ١٨٨٧ ونشرها تحت عنوان «مظهر الصلاح»

٦٨٢ ﴿ كويرو ﴾ الابَ جيرونيموس (P. Jerôme Queyrot) المرسل الفرنسويّ اليسوعي في بلاد الشام المتوفى في دمشق سنة ١٦٥٣. ألَّف في حلب معجماً في سبع لغات في الفرنسويَّة والايطاليَّة والتركيَّة واليونانيَّة القديمة والحديثة وفي العربيَّة الفصيحة والعاميَّة لم يزل مخطوطاً. وله رسائل عديدة كتبها عن الشرق واحواله واديانه

٦٨٣ ﴿ كويسه ﴾ هو الاب فرديننـدس (فرنسيس) المرسل اليسوعيّ (P. Ferd. Cuisset) المتوفى في حلب سنة ١٧٦٦. له: ١° في مكتبتنا الشرقيَّة وفي مكتبة الآباء الكبوشيين وفي مكتبتي الموارنة والروم الكاثوليك في حلب رسائل وجَّهها الى القس ميخائيل جروه كاهن اليعاقبة في حلب وكانت من اكبر الدواعي الى ارتداده الى الكنيسة الرومانيَّة فصار بطريركاً على طائفة السريان الكاثوليك. ٢° وله في مكتبتنا ايضاً كتابٌ في التعليم المسيحي مع قوانين لشبان الاخويَّة يرشدهم فيها الى طريقة تلقين هذا التعليم الاحداث

٦٨٤ ﴿ كيتون﴾ الاب ريناتوس اليسوعي (P. R. Guitton) التوفى في ايطاليا سنة ١٩١٥ . نشر في مصر كتاب تعليم الطقوس لافادة الشرقيين في اللغة الفرنسوية ثم عرّبه الخوري جرجس فرح صفير . ومن آثاره رياضة روحية للشبان طُبعت في بيروت سنة ١٨٩٢

٦٨٥ ﴿ كيرلس ﴾ بطريرك الاسكندرية القديس المتوفى سنة ٤٤٤ م . له ١ في المكتبة الفاتيكانية (ع ١٢٣) رسالته التي وجّهها الى نسطوريوس . ٢ له في مجاميع ميامر الآباء في مكتبتنا الشرقية وفي مخطوطات مكتبة باريس (Mss 132^{15}, 142^{2}, 151^{7}, 155^{4,20}, 212^{2}, 237^{1}, 263^{4,21}) عدة ميامر قالها في الصليب وفي مديح العذراء ودخولها الى الهيكل وموتها وانتقالها الى السماء وفي ختانة الرب . ٣ قوانين كيرلس وفصوله الاثنا عشر . في مكتبة باريس (Ms, 238^{11}) وفي مكتبة كمبردج (Wright, 3288^{1}) . ٤ تعاليمه في الامانة . فيها ايضاً (3288^{10}) . ٥ كتاب السرائر اي ناموس القديس كيرلس . منه نسخ في مكتبة الاقباط في مصر وفي باريس ولندن . ذكره ابو البركات بن كبر في فهرسه (Riedel, 646) وذكر منه سينوديقات ومقالات في تثبيت الامانة وتقرير الاعتراف . وذكر ايضاً فصوله الاثني عشر وكتابه الدعو الكنوز المسمى هرمس

٦٨٦ ﴿ كيرلس ﴾ بطريرك اورشليم القديس المتوفى سنة ٣٨٦ . له : ١ ثمانية عشر موعظة منه نسختان في مكتبة الموارنة في حلب نسخة منها تاريخها سنة ١٦٨٩ بالكرشوني كتبها القس يوحنا بن زنده . ومنها نسخة اخرى في مكتبة الكلدان في ماردين . ٢ ميامره في شرح الايمان (Catéchèses) . بيعت منه مؤخراً نسخة على رق من القرن الثاني عشر (Hiersemann, Cat. 500, n° 25) . ٣ ميامر شتى على الاعياد وعلى العذراء مريم ودخول السيح الى الهيكل وعلى متى الرسول وعلى التوبة . منها في مجاميع اليامر نسخ في مكتبتنا ومكتبة باريس وفي مكتبة البلند (ع ١٠٦)

٦٨٧ ﴿ كيرلس البيساني ﴾ كان راهباً في بيسان (Scythopolis) من مدن فلسطين ازهر في القرن السادس . له في مكتبتنا الشرقية سيرة القديس افتيميوس في ٥٢ فصلا بيع منها نسخة قديمة (Hiersemann, Cat. 500, n° 16) في جملة تراجم بعض

القديسين. وفي مكتبة باريس (Paris, Ms. 257) ترجمة القديس جراسيوس لكيرلس اليباني. وقد مرَّ لنا وصف نسخة اخرى منها في احد اعداد المشرق السابقة (ص ٧٠٧) وعنها نقلنا قصة الاسد الشاكر للمعروف

٦٨٨ ﴿كيرلس﴾ بطريرك الاسكندرية على الاقباط المعروف بابن لقلق تولّى بطريركية اليعاقبة في مصر من السنة ١٢٤٩ الى ١٢٥٩ م . له ١ً في المكتبة الفاتيكانية (ع١١٧) كتاب في الفرائض الكنسية في ٢٠ فصلاً كُتب سنة ١٢٨٧ . ٢ً وله فيها مقالة عن سيامات (ع ١٦٢) . ٣ً وفي مكتبة باريس (Ms. 238) اجوبة على سؤالات عرضها عليه الشيخ خراسطادلو . ٤ً وفيها ايضاً كتاب الاعتراف او التلميذ والمعلم كُتب سنة ١٢٥٥ للميلاد . ٥ً وفيها كذلك (Ms. 251) كتاب قوانين ومقالات شتى في تاريخ سنة ١٢٥٩ . ٦ً وذكر له ابو البركات بن كبر (Riedel, 669) مجادلة مع جماعة من المسلمين بمجلس الملك الكامل بن العادل بن أيوب حضره فيها القس بولس البوشي .

٦٨٩ ﴿كيرلس طاناس﴾ بطريرك الروم الكاثوليك السادس من اسمه (١٧٢٤—١٧٦٠) . له في بعض نسخ مكتبتنا بعد رسالة عبدالله زاخر في بطلان طعن الارمن على المجمع الخلقيدوني . جواب البطريرك كيرلس طاناس الى الحبر الاعظم بنديكتوس الرابع عشر سنة ١٧٥٤ بخصوص قداسة يوحنا مارون .

٦٩٠ ﴿كيرلس اسقف الروم﴾ كان يدبّر كرسيّ طائفته الاورثذكس في حلب في اواسط القرن التاسع عشر. في مكتبتنا الشرقية مجادلات جرت بينه وبين البادري بولس العازري بخصوص سلطان الكنيسة الرومانية واحبارها وقضية الانبثاق في تاريخ سنة ١٨٤٧ بانية قرار الشماس بوتانيوس الى الآباء اللعازريين

حرف اللام

٦٩١ ﴿لابورد﴾ الاب يوسف المرسل اليسوعي (P. Jos. Laborde) المتوفى في ٣٠ شباط سنة ١٨٨٤ . من مخطوطاته في مكتبتنا مقالة في حالة اليعاقبة في ما بين النهرين طُبعت على الحجر . له في الفرنسوية رسائل متعددة دينية واخلاقية كتبها من سورية ومن مديات في بلاد ما بين النهرين

٦٩٢ ﴿ اللاذقي ﴾ القس سليمان من تلامذة مدرسة الجزويت كان في اواسط القرن الثامن عشر . من مخطوطاته : ١° كتاب علم الذمة المستخرجة من اللاتينية منه نسخة في دير الشير تاريخها سنة ١٧١٣ ونسخة ثانية في دير بزمار وثالثة في دير الرهبان الشويريين في رومية ورابعة في مكتبتنا الشرقية . ٢° كتاب في التوبة والندامة في ٢٧ فصلاً ترجمة ايضاً من اللاتينية . منه نسخة في مدرسة الصلاحية في القدس (Or. Chr., 1914, p. 117)

٦٩٣ ﴿ لاريغا ﴾ البادري فرنسيس الدومنيكاني ويدعى أرياغا وأريغا (Gonzalès d'Ariga) المتوفى سنة ١٦٥٧ . ألف باللغة الاسبانية كتاباً مختصراً في اللاهوت الادبي عرّبه احد المرسلين الفرنسيسيين حافظي القبر المقدس سنة ١٧٤٠ وعنونه « بكتاب مختصر قضايا علم الذمة في خدمة الاسرار البيعية اللازمة معرفتها الكهنة للاعتراف » . منه نسخة في مكتبتنا الشرقية تاريخها ٣ ك ٢ ١٧٤٩

٦٩٤ ﴿ لاسال ﴾ القديس يوحنا مؤسس جماعة اخوة المدارس المسيحية المتوفى سنة ١٧١٩ (اطلب ترجمة في المشرق ٤ [١٩٠١] : ٤٤٦٠) . قد عرّب يوسف افندي صقير كتابه في تهذيب الاخلاق وطبعه في المطبعة العثمانية سنة ١٨٩٩

٦٩٥ ﴿ لاسيوس ﴾ المكرّم للاب لاونردس اليسوعي (P. L. Lessius) المتوفى سنة ١٦٢٣ . عرّب الاب بطرس فروماج كتابه الجدلي النفيس الذي عنوانه « ما هو الدين الواجب التمسك به » منه ثلث نسخ في مكتبتنا الشرقية ونسخة في مكتبة الارمن في حلب

٦٩٦ ﴿ لاشتاردي ﴾ هو الكاهن يواكيم طروطي دي لاشتاردي (Joach. Trotti de la Chétardie) المتوفى سنة ١٧١٤ له كتاب تعليم مسيحي موسّع عرّبه الاب بطرس فروماج دعاه « كتاب ايضاح التعليم المسيحي » طبع اولاً في الشوير سنة ١٧٦٨ ثم في مطبعتنا غير مرة . منه نسخ مخطوطة في مكتبتنا الشرقية وفي بيت الشماس شكري أيوب

٦٩٧ ﴿ لانكه ﴾ هو السيد جان جوزف اسقف مدينة سواسون (J.J. Languet) المتوفى سنة ١٧٥٣ ألف ترجمة القديسة مرغريتا مريم ألاكوك عرّبها الاب بطرس فروماج سنة ١٧٣٥ . منه نسخة في مكتبتنا الشرقية وفي مكتبة بيت الشماس

شكري أيوب . وقد طُبع هذا الكتاب في مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٨٨٦

٦٩٨ ﴿لاونديوس﴾ كان اسقفًا على مدينة نيابوليس في جزيرة قبرس في القرن السادس للمسيح . في مكتبة باريس ثلث نسخ من كتابه في ترجمة القديس يوحنا الاسكندري المعروف بالرحوم (S^t Jean l'Aumônier)

٦٩٩ ﴿لباد﴾ هو القس جبرائيل بن لباد الحلبي من كهنة القرن الثامن عشر . وجدنا له في مكتبة المارونية في حلب (ع ٣٧٣) ترجمة رسائل القديس نيلوس في الفضائل نقلها الى العربيَّة سنة ١٧٣١

٧٠٠ ﴿لباوس﴾ هو القس المتيني الراهب اللبناني المتوفى نحو السنة ١٧٩٠ . ويقال ليباوس ايضًا . له تعريب كتاب الشهر المريمي للاب موزدلي اليسوعي الذي طُبع اولًا في رومية سنة ١٨٣٨ ثم في القدس (١٨٥٣) ثم في مطبعتنا مرارًا . ٢ عرَّب ايضًا كتاب القلب المسجى للاب بينامتي اليسوعي فطُبع في مطبعة انتشار الايمان في رومية سنة ١٨٤٨ ثم في اهدن سنة ١٨٦٠

٧٠١ ﴿لزكاري﴾ الاب كسقاريوس اليسوعي كان في القرن الثامن عشر . عرَّب كتابة الشهر المعروف بالشهر الانفارستي وطُبع في مطبعتنا الكاثوليكيَّة سنة ١٨٧٠ و١٨٧٦ في آخر كتاب الاب يوهرد المسمَّى قوت الحياة للانفس المسيحيَّة

٧٠٢ ﴿لسكاري﴾ اسمه ثيودورس (Théod. Lascaris) احد ملوك الروم في نيقية . توفي سنة ١٢٢٢ : وجدنا له في بيت بعض الخواص في بيروت مقالتين سلام وتهنئة بالفرح لسيدتنا والدة الاله البالغة القداسة وهو من تأليف الملك الحسن العبادة والجليل الديانة ثيودورس اللسكاري مع مدائح وتسابيح

٧٠٣ ﴿لودوبكس﴾ فرنسيس من مدينة ارجنتان الراهب الكبوشي (Louis d'Argentan) المتوفى نحو سنة ١٦٨٢ . ألَّف كتابًا بالفرنسويَّة في عظائم السيد المسيح فعرَّبه احد رهبانيه البادري يوسف من مدينة رولي في مدينة حلب سنة ١٧٢١ ودعاه "كتاب العجائب في عظائم سيدنا يسوع المسيح الذي هو الاله والانسان" . منه في حلب نسختان الواحدة في مكتبة المارونية كتبها القس فرنسيس الباقي سنة ١٧٢٧ . والثانية في مكتبة الدار الاسقفيَّة السريانيَّة . وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة ثالثة نسخها الخوري عبدالله قديد الحلبي سنة ١٨٥٢

٧٠٤ ﴿لوقا بن سرابيون﴾ من علماء القرن العاشر . له في مكتبة باريس (Ms. ar. 2772) ترجمة كتاب الاحجار المنسوب الى ارسطاطاليس

٧٠٥ ﴿لومند﴾ الكاهن الفرنسوي شرل فرنسوا (Ch. F. Lhomond) المتوفى في باريس سنة ١٧٩٤ . هو مرتّب مختصر التاريخ المقدّس الذي عرّبه المرحوم ميخائيل سابنكي سنة ١٨٥٨ ثم طُبع مرارًا في مطبعتنا الكاثوليكيّة . وقد يعدّ تعريبهُ الخوري . بركات . وللومند ايضاً خلاصة تاريخ الكنيسة الذي عُني بترجمتهِ الخوري يوسف البستاني فطُبع اولًا سنة ١٨٧٠ في مطبعتنا . ثمّ طُبع ايضاً في الموصل

٧٠٦ ﴿لويس الكبوشي﴾ كان مرسلًا رسوليًا في حلب في اواسط القرن الثامن عشر . وجدنا له في بيت الاديب نقولا أيوب في حلب كتاباً عنوانهُ « رياضة النفس في النيّة الصالحة عرّبهُ البادري الكبوشي لويس سنة ١٧٤٤ »

٧٠٧ ﴿ليبون﴾ الدكتور اوبرتس (Hubert Lebon) المتوفى في اواسط القرن الماضي . عرّب المرحوم يوسف وردة كتابهُ قوت الارواح فطبعهُ لاوّل مرّة في مطبعتنا سنة ١٨٦٣

٧٠٨ ﴿ليكوري﴾ هو القديس ماري الفونس المتوفى في السنة ١٧٨٧ . تعدّدت تآليفهُ التي نُقلت الى العربيّة : ١ً كتاب الاهوت الادبيّ الذي عرّبهُ القسّ يوسف عطيّة وطبعهُ في طاميش سنة ١٨٥٧ والاب اوجينيا الفرنسيسيّ وطبعهُ في القدس ١٨٥٨–١٨٦٠ . ٢ً كتاب تاريخ الارمقات ترجمة الخوري يوسف السديس وبطرس عوكر طُبع في طاميش سنة ١٨٦٤ . ٣ً كتاب امجاد مريم عرّبهُ البطريرك مكسيموس مظلوم فطُبع اولًا في رومية سنة ١٨٢٧ ثم تكرّر طبعهُ في القدس الشريف سنة ١٨٦٦ ثم ١٨٨٣ . ٥ً كتاب الاستعداد للموت من تعريبه ايضاً طُبع في القدس مثلهُ سنة ١٨٥١ . ٦ً كتاب التأمّلات اليوميّة لكل أيام الشهر طُبع في رومية وفي القدس وفي مطبعتنا البيروتيّة . ٧ً ومنهُ كتاب الزيارة اليوميّة لسرّ الافخارستيا ولمريم العذراء تعريب البطريرك المذكور . ٨ً كتاب الواسطة العظمى لنوال الخلاص الابدي من تعريبه ايضاً طُبع في رومية سنة ١٨٤٩ ثمّ في الموصل . ٩ً كتاب الدعوة الرهبانيّة عرّبهُ الاخ يوسف دريان فطبعهُ في مطبعتنا سنة ١٨٨٩ . ثمّ عرّبهُ الخورفسقفوس افرام احمر دقنه فطُبع سنة ١٩١٣ بهذا الاسم « كتاب الحياة

المحبَّة في الدعوة الرهبانيَّة» وفي آخره رسالة الى احد الشبان الباحثين عن دعوتهم .
١٠ العبادة السنية لآلام المسيح واوجاع امه الحزينة بروية المرحوم الاب ادوار
سلراني اليسوعي

٧٠٩ «لويان» جرجس بن نعمة الله ليان الدمشقي من اهل القرن الثامن عشر .
وجدنا له بين مخطوطات مكتبة مدرسة الثلثة الاقمار (ع ٣٦٠) كتاباً عنوانه
«البيان في صحة الايمان» يردّ فيه على المسلمين واليعاقبة والنساطرة

حرف الميم

م

٧١٠ «مارون الاهدني» هو القس جرجس المارونيّ من رجال القرن السابع عشر .
له كتاب خطّ فيه انساب العيال في لبنان نقلها عن مجموعات خطيَّة ومعلومات لسانيَّة
ومحلِّيَّة عُرض على البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٧٥ فرجّح صحّة لسانه (في كتاب
خليل همّام فاتر عن البطل اللبناني ابي سمرا غانم ص ٣١٥)

٧١١ «مارون الطرابلسي» هو الخوري يوسف المارونيّ عاش في اواسط
القرن الثامن عشر . له في مكتبتنا الشرقيَّة نسختان من ردّه على الشماس عبد الله
زاخر في بيان شرف الرهبانيَّة اللبنانيَّة

٧١٢ «ماري جوزيف» الراهب والمرسل الكرمليتاني المتوفى في بغداد
سنة ١٨٩٨ . ذكر له الاب انستاس البغدادي في المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٨١١–٨١٤
الكتب المخطوطة الآتية هذه اسماؤها : ١ً الدليل الجليل في محاسن الانجيل .
٢ً عجائب التنزيل في تأويل بعض مغالق الانجيل . ٣ً التأملات السنيَّة في الأيام
السنويَّة . ٤ً كتاب السهام الوُعّاظ في ابسط المواعظ . ٥ً احسن المراعي في سماع
كلام الراعي (ميامر لآحاد واعياد السنة) . ٦ً طرد نفثات الشيطان بسماع تراجم
ابناء الرحمان (سير قديسين) . ٧ً اخبار اخيار الكرمل . ٨ً ميدان الفوارس في
ارشاد اهل المدارس . ٩ً–١٣ خمسة تآليف في الشهر المريمي والعبادة للعذراء مريم
وبيان فضائلها

٧١٣ «ماري دي أغريدا» هي الراهبة الفرنسيسيَّة الاسبانيَّة (Marie
d'Agréda) المتوفاة سنة ١٦٦٥ . ألّفت كتاب سيرة العذراء مريم تحت اسم «مدينة

الله السرّيّة فنقلها الى العربية احد الآباء الفرنسيسيين. منها نسخة في مجلدين في مكتبة الموارنة في حلب (ع ٢٩٧-٢٩٨). ومجلد واحد في مكتبتنا الشرقيّة

٧٦٤ «ماري بن سليمان» احد كتبة الكلدان في القرن الثالث عشر م. ألّف كتاباً دينياً في سبعة ابواب و٣٠ فصلاً دعاهُ كتاب المجدل للاستبصار والجدل. منهُ اربع نسخ في المكتبة الفاتيكانيّة (B.O. III, 444) تاريخ الواحدة منها سنة ١٤٠١ م. ومنهُ نسخة في مكتبة باريس (Bibl. Nat., 190). ونسخة في مكتبة الكلدان في ديار بكر وفي مكتبتهم في سعرت لعلّها فُقِدت في الحرب الكونيّة حيث نُهبت تلك المكتبة الفريدة

٧٦٥ «مارين دي بوالِيف (Marin de Boylesve)» هو العالم اليسوعي الفرنسوي المتوفى سنة ١٨٩٢ م. عرَّب المعلم اسكندر زيدة كتابهُ التذكرة الرفيعة في الديانة الفائقة الطبيعة فنشرهُ في المطبعة العموميّة سنة ١٨٧٢. وعرَّب الخوري فيلبُّوس ملُّوك كتابهُ في الفلسفة وعنونهُ بكتاب ميزان الحق في الفلسفة في اربعة اجزاء وطبعهُ في المطبعة الادبيّة سنة ١٨٨٨

٧٦٦ «ماليه» الاب بطرس المرسل اليسوعي (P. Maillet) المتوفى في حلب سنة ١٩٠١. ألّف ١ كتاب كشف السرّ المكنون من شيعة الفرامسون طبعهُ بالفرنسويّة والعربيّة سنة ١٨٦٦. ٢ الادلّة الجليّة في مضارّ الكتب الرديئة طُبع في القدس سنة ١٨٨٢. ٣ الغيرة على النفوس والعبادة لقلب يسوع الاقدس طُبع سنة ١٨٩٢. وخلّف عدّة متفرّقات في شرح الكتاب المقدّس لم تُطبع

٧٦٧ «مانسي» هو الكاهن يوسف ما نسي (J. Mansi) من جمعيّة الاوراتوريّين المتوفى سنة ١٦٧٢. عرَّب الخوري الطوت صبّاغ في حلب كتابهُ «دمرة الخطأة الى مخافة الله» في ثلثة اجزاء وعدّة فصول سنة ١٧٦٧. منهُ نسخة في مكتبتي الروم الكاثوليك والموارنة في حلب

(لها بقية)

دفائن الخزائن

لجناب الاديب حبيب افندي الزيات

مقدمة

اتفق لجناب صديقنا حبيب افندي الزيّات ان يسافر من مصر الى فرنسة فيقيم فيها مدّة . وقد انتهز فرصة وجوده فيها لينقل لمجلة الشرق فصولاً رائقة من مخطوطات مكتبة باريس العمومية . فنشكر لجنابهِ لطفهُ هذا وعندي قرّاءنا تلك الدرر الفريدة تحت عنوان دفائن الخزائن

معلوم وزراء دمشق في الدولة التركيّة المصرية

المعلوم في عُرْف كتبة الدولة المصريّة هو المرتّب الشهري ومجموعهُ قياساً على معالم كالرسوم والمراسيم . وليس في كل ما اتّصل بنا من المصنّفات الموضوعة في شرح آداب ديوان الانشاء السلطاني كالتعريف والتثقيف وإجابة السائل الى معرفة الرسائل وصبح الاعشى واشباهها او في كتب التاريخ والتراجم ما يبيّن لنا طرفاً كافياً من احوال الموظفين والوظائف في تلك الدولة التركيّة العربية التي بلغت في عهدها شأواً غريباً من الابّهة والبذخ وارتفاع الشوكة ونظام الملك وتدبير المناصب السلطانيّة وتفرّدت خصوصاً في معرفة استدرار الاموال من كل مصادرها حلّت او حُرّمت وتقرير الضرائب والرسوم حتى على المنكرات والقبائح كشرب الخمر وركوب الفاحشة (١) مستعينة على ضبط كثير من هذه الوظائف بالاستيفاء والوزارة بكتّاب النصارى ولاسيما الاقباط منهم بعد إكراههم غالباً على الاسلام نظراً لكفاءتهم في هذه الخدم وقدمتهم عليها وطول إدمانهم لها حتى اصابوا باستئثارهم بها حظّاً جليلاً اهاج احقاد المسلمين عليهم فكان الداعي الاكبر لإثارة كل هذه الفتن والنكبات التي كانت تجتاحهم سنةً بعد اخرى كما يتبيّن الناظر في اخبار تلك الدولة

وبينا نرى كل التواريخ المصرية طافحة بذكر الملاحم والحروب متوسّعة في شرح

---

(١) طالع السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي : المجلدين ١٧٢٦-١٧٢٨ من مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس المجلد الاول ص ٣٥٦ والمجلد الثاني ص ٤٠٣ و٤٥١

الفتن والمكايد التي كانت بين كل فترة وفترة تقعد دولة وتقوم اخرى . ونشاهد كتب مصطلحات ديوان الانشاء تدقق ما شاءت في تعيين صنف الورق وقطعه في المكاتبات السلطانية والنص على قطة القلم ولون المداد متعنتة في إطلاق كل هذه الالقاب والنعوت الطويلة الذيول التي كانت اقلام الدواوين تتخفى في سردها وتردادها مغالية في التمييز بينها في مخاطبات ارباب الدولة بين ما كان ملحقاً بياء النسب او مجرداً منها كالمجلس الساميّ (بالتشديد) والمجلس السامي (بدونه) وبين ما كان منسوباً الى نفس صاحب اللقب او الى شيء خارج عنه كالقاضويّ الذي هو منسوب الى القاضي وهو اعلى من القضائي الذي هو منسوب الى القضاء . . لا نكاد نجد في كل تلك الاخبار ورواء كل هذه الشقشقة الا ما لا يروي غلة من وصف مناصب الدولة وتعريف حقيقتها ورسومها والنص على ما كانت تتفرع اليه من خدمة ونظر وتنقسم عنده من حل وعقد وعلى الخصوص ما كان يتناوب عليها من بسط وقبض وزيادة في كل دولة من رفع وخفض بحيث ان كثيراً منها كوظائف النائب والوزير والناظر والوالي مثلاً كان يختلف مدلولها باختلاف دولها فضلاً عما أُهمل منها او فقد رتبته مما لا يبقى تعريف ماضيه الا هذه الاشارات المقتصرة في معاجم اللغة وكتب المصطلح الشريف

واشدّ ما يخفى علينا من تاريخ هذه الوظائف السلطانية الجهة المالية منها كالرواتب التي كانت معيّنة لكل من ارباب السيوف وارباب الاقلام كما كانوا يقولون قديماً في التعبير عن ارباب المناصب العسكرية والدينية . ولا نظن ان احداً نصّ على مبلغ ما كان يرد في كل هلال لنائب السلطنة او لوزيرها وناظر نظارها في المملكة الشامية مثلاً . وقد اطلتُ التنقيب في ما اتّصل بي من مؤلفات كتبة ديوان الانشاء وراجعت ما تناولته اليد من التواقيع والعهود الصادرة باقلامهم في تقليد النيابات والولايات في ذلك العهد لعلي اظفر فيها بجلاء هذا الغامض فلم الق حيث اعملتُ النظر منها الّا التقريظ والاطراء والبلاغة في الانشاء مما لا يتجاوز الفائدة الادبية واللغوية حتى اذا كنت يوماً اطالع كتاب «اعيان العصر واعوان النصر» لخليل بن ايبك الصفدي المشهور لانقل منه ما عسى ان يقع اليّ فيه من تراجم الأسالمة (1) النصارى عثرتُ في مطاوي

(1) الأسالمة جمع اسلميّ وهو كل نصراني او يهودي انتحل دين الاسلام طوعاً او كرهاً ويقال له مسالمانيّ ايضاً . احدث هذا اللفظ من باب التمييز والتحقير تمييزاً لهم عن المسلمين بالولادة

كلامه عن احدهم · عبدالله بن تاج الرئاسة الصاحب الرئيس الوزير الكبير امين الدين امين الملك وزير الديار المصرية والشامية · القبطي الاصل على النسخة توقيع سلطاني له بنظر النظّار بدمشق مكان الصاحب شمس الدين غبريال القبطي والأسلمي تظليم من النشا · مؤلف كتاب اعيان العصر نفسه صرّح فيه بما لا مزيد عليه من البيان والتفصيل بمقدار معلوم ناظر النظّار بدمشق في ايام الامير تنكز الشهور · ومن هذا المعلوم قد يمكن ان يُستدلّ بالقياس على نسبة ما كان فوقه او دونه من الرواتب · ومن حسن الحظ ان المجلّد الذي ورد فيه هذا التوقيع متقن الخط جيّد الضبط عارضه على الاصل المؤلف نفسه كما يؤخذ من الكتابة الآتية له بأوّله :

«قرأ عليّ هذا الجزء الثالث وما قبله من اول كتابي اعيان العصر واعوان النصر الامام المحدّث البليغ نور الدين ابو بكر احمد بن علي بن محمد بن ابي الفتح المنذري الحنفي عُرف بابن المقصوص نفع الله به · من اصل كتابي بخطي وانا اعارضه بهذا الجزء · · · وكانت القراءة بالحائط الشمالي بالجامع الاموي المعمور بذكر الله تعالى بدمشق المحروسة

«وكتب خليل بن ايبك بن عبدالله الصفدي الشافعي في سابع عشر شهر الله المحرم سنة ثمان وخمسين وسبع مائة(١٣٥٧م) حامداً ومصلياً»

ومع هذه القراءة والمعارضة لا يخلو هذا الجزء من اماكن فيها بياض او نقص او اغلاط يسيرة بعضها لا محالة من سهو الناسخ ذهل المؤلف عن تصحيحه عند المراجعة وبعضها وهو الاقل لا يبعد ان يكون من قلم الصفدي نفسه على فضله وجلالة قدره وهي صدى بعض اللهجات واللاحن العامية وقلّ ان يسلم منها كاتب من كتبة دولة المماليك المصرية

وقد رأيت ان انشر هنا نسخة التوقيع المذكور مع طوله لجدّته وخفائه قبل اليوم وعلى الخصوص لبلاغته وفائدته التاريخية ومرقعوبين آثار دمشق · ومع ان منشئه لم يُنبّه على تاريخ كتابته يُرجح ان يكون سنة اثنتين وثلثين وسبعمائة للهجرة(١٣٣١م) وهي السنة التي تنكّر فيها الملك الناصر محمد بن قلاوون على الصاحب شمس الدين غبريال

وورد فيها المرسوم للامير تنكز بالقبض عليه ومصادرته(١) ففيها ولا شك ولي الوزير امين الدين ابن تاج الرئاسة مكانه بدمشق الى ان لقي مثل جزائه ومات تحت العقوبة سنة اربعين وسبعمائة (١٣٣٩ م). وكان الصاحبان شمس الدين وامين الدين المذكوران لما استسلم الجاشنكير الامير ركن الدين بيبرس النصارى اختبأ نحو شهر بمصر ثم طال عليهما الامر فظهرا واسلما

التوقيع الشريف لامين الدين القبطي بنظر النظّار بدمشق

قال الصفدي (٢): «ولما رُسم الصاحب امين الدين بنظر النظّار بدمشق كنت اذ ذاك في ديوان الانشاء بالديار المصرية وكتبتُ له توقيعاً شريفاً - ونُسْخَتُهُ: «الحمد لله الذي جعل وليَّ ايامنا الزاهرة اميناً، واحلّهُ من ضمائرنا الطاهرة مكاناً اينما توجّه وجهه مكيناً، وخصّهُ بالاخلاص لدولتنا القاهرة فهو (٣٧ ورقة ٢) يقينا يقيناً، وعضد بتدبيره ممالكنا الشريفة فكان على نيل الامل الذي لا يمن يميناً، وفجّر خلال خلاله نهراً اصبح على نيل السعود نميناً ثميناً، وزيّن به آفاق المعالي فما رجا امرأً الا وكان فكره صبحاً مبيناً، وجمّل به الرتب الفاخرة فكم قلد جيدها عقداً ثميناً ورصّع في تاجها دراً ثميناً، واعانه على ما يتولاه فهو الاسد الاشدّ الذي اتّخذ الاقلام عريناً، نحمده على نعمه التي خصّتنا بوليّ تتجمّل به الدول، وتغنى الممالك بتدبيره على الانصار والخوَل، ونحمد ايامنا الشريفة عليه ايامُ من مضى من الملوك الأُول، ونحل السعود حيث حلّ اذ لم يكن لها عنهُ حوَل، ونشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادةً تستطر بها صوب الصواب، ونوقل منها في ثوب الثواب، وندخرها حاصلاً ليوم الحساب، ونعتد بها واصلاً ليوم الفصل والمآب، ونشهد ان سيدنا محمداً عبده الصادق الامين، ورسوله الذي لم يكن على الغيب بضنين، ووحيه الذي فضل الملائكة المقربين، ونجيّه الذي أُسري به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى حجّةً على الملحدين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين صحبوا ووزروا، وايدوا حزبه ونصروا، وبذلوا في نصحه ما قدروا،

١) طالع المنهل الصافي لابن تغري بردي من مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس الجزء الرابع عدد ٢٠٦٨ ص ٣٠

٢) اعيان العصر واعوان النصر عدد ٥٨٥٩ من المكتبة المذكورة ص ٣٥

وعدلوا فيما نهوا وامروا، صلاةً تكون لهم هُدىً ونوراً اذا حُشروا، ويضوع بها عَرفهم في الغُرَف ويطيب نشرهم اذا نُشروا، وسلّم تسليماً كثيراً الى يوم الدين

وبعدُ فان اشرف الكواكب ابعدُها داراً، واجلُّها سيراً واقلُّها سراراً، وادناها ميلاً واعلاها مناراً، واطيب الجنات جناناً ما طاب اريجاً وثماراً، وتفجّر خلالَه كلُّ نهر تروع حصاه حالية العذارى، (س ٤٥ د ٢٦) وتحت معاطفَ غصونه سلافةُ النسيم فتراها سكارى، وقد ظلال الغصون فتخال انها على جنّات الانهار تدبّ عذاراً، وكانت دمشق المحروسة لها هذه الصفات، وعلى حصبائها ترب امسكت هذه النبات، لم يتّصف غيرها بهذه الصفة، ولا اتفق اولو الالباب الا على محاسنها المختلفة، فهي البقعة التي يطرب لاوصاف جمالها الجماد، والبلد الذي ذهب بعض المفسرين الى انها إرم ذات العماد، وهي في الدنيا انموذج الجنة التي بها وُعد المتقون، ومثال النعيم للذين عند ربهم يُرزقون، وهي زهرة ملكنا، ودرّة سلكنا، وقد خلت هذه المدة ممن يراعي مصالح امورها، ويرعى نجوم امورها، ويدبّر امر مملكتها اجمل تدبير، ويحمي حوزتها وغاشيتها من التدمير، فيتم منها عقلاً، ويحلّي عطلاً، ويملأ خزائنها خيراً اذا ملأنا ساحتها خيلاً ورجلاً، وتعيّن ان ننتدب لها من خبرناه بعداً وقرباً، وهززناه فتقنا لدناً وسللناه عضباً، وخبأناه في خزائن فكرنا فكان اشرف من ندّخر واعزّ ما نخبأ، كم نبه في الايام وامره، وكم شدّ ازراً له وزره، وكم فتحت به ايامنا من الشمس والقمر، وكم رفعنا راية مجد تلقاها عرابة فضله بيمين الظفر، وكم علا ذُرى رتب تعزّ على الكواكب الثابتة فضلاً عمن يتنقل في الباشرات من البشر، وكم كانت الاحوال جمادى فاعادها ربيعاً، تغرّد به طائر الاقبال وصفر. وكان المجلس السامي القضائي الوزيري الصاحبي الاميني هو معنى هذه الاشارة، وشمس هذه الهالة وبدر هذه الدارة، نزل من العلياء في الصميم وفخر بالملابس التي هي نشر الرياح كما فخرت بفوارسها تميم، وتحسّنت الاحوال في دفاتره (س ٤٥ د ٦٢) التي يزينها فآوت الى الكهف والرقيم، وقال لسان قلمه اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم،

عقم الزمان بان يجيء بمثله ... انّ الزمان بمثله لعقيمُ

وتشبّه به اقوام فبانوا وبادوا، وقام منهم عباد المثاد فلما قام عبد الله يدعوه كادوا، اردنا ان ينال الشام فضله كما ناله مصر فانا نساهم فيه مصراعها ولا يقول لسان الثلث لغيره.

حللتَ بهذا مَحلّةً ثمّ مَحلّةً بهذا قطاب الواديان كلاهما

فلذلك رُسم بالامر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري اعلاهُ الله وشرّفه ان يُفوَّض اليه تدبير الممالك الشريفة بالشام المحروس ونظرُ الخواصّ الشريفة والاوقاف المبرورة على عادة من تقدَّمهُ في ذلك ومعلومه الشاهد به الديوان المعمور الى آخر وقت وهو في الشهر مبلغ اربعة آلاف وست مائة وثلثة وسبعون (كذا) درهماً. تفصيلهُ عن نظر المملكة الشريفة بالشام المحروس اربعة آلاف ومائة وثلثة وثلثين وثُلثين (كذا). مبلغ الفان وسبعمائة وثلثة وثمانون (كذا) وثُلثين ثمن لحم وتوابل الف وثلثمائة وخمسون درهماً. قمح غرارة ونصف. من نظر الخاص الشريف مبلغ وثمن لحم وتوابله ثلثة ارطال بالدمشقي خمسماية واربعون درهماً (كذا) (١). غلات من الوظيفتين تسع وعشرون غرارة. تفصيله: قمح تسع غرائر. شعير عشرون غرارة. اصناف الشاهرة بالوزن الدمشقي: سكر بياض اثنان وعشرون رطلاً (٢) ٢٦ ٢٧ اما ماورد اوقية ونصف. صابون اوقية ونصف زيت طيب (٢) نصف رطل والكسوة والتوسعة والاضحية والأتبان على العادة كمن تقدمهُ في ذلك (٣). فليتلقَّ هذه الولاية بالعزم الذي نعهده وبالحزم الذي شاهدناه ونشهده وبالتدبير الذي يعترف له الصواب ولا يجحده، حتى

---

(١) يصعب جداً ان يكون كتّاب الديوان قد حافظوا والآ في تفصيل حساباتهم وسرد ارقامهم على مراعاة قواعد الإعراب ولا شك ان الخطأ فيها كان فاشياً بين اكثرهم لما جبلوا ولما تجافياً عن المذاقة والتشر. والاغاليط جاءت في الامثال القديمة «ارزٌ ممن يشتغل النحو في الحساب». ولعلّ لحن الصفدي غير مرّة في ما تقدم هو من هذا القبيل الاخير.

(٢) الزيت الطيب هو زيت الزيتون خاصةً تمييزاً له من بقية الزيوت كزيت السلجم والسمسم والكتان وغيرها ولا يزال هذا الاصطلاح جارياً في مصر.

(٣) يزيد حساب الصفدي في التفصيل ثلثي درهم. ولا بأس من مراجعة زيادةً في الكشف والوضوح

٤٦٣٣ درهماً جملة المعلوم

من نظر الشام ٤١٣٣ ٢/٣ منها

٢٧٨٣ ٢/٣ نقداً

٤١٣٣ ٢/٣ ١٣٥٠ ثمن لحم وتوابل

٤٦٣٣ ٢/٣ درهماً ٥٠٠ ثمن لحم وتوابل من نظر الخاص الشريف

وهو ديوان الاملاك السلطانية

تنتشر الاموال في اوراق الحساب، وتزيد نموًا ويسرًا فتفوت الامواج في البحار وتفوق القطر في السحاب، مع رفق يكون في شدته، ولين يتعين مضاء حدته، وعدل يعون مهلة مدته، والعدل يصير، والجور يدمر ولا يثمر، بحيث ان الحقوق تصل الى اربابها، والمظالم تطلع بدورها كاملة في كل هلال على اصحابها، والرسوم لا تزاد على الطاقة في بابها، والرعايا يجنون ثمر العدل متشابها، واذا انعمنا على بعض اوليائنا بجميل (١ فلا تكدر بان تؤخر، واذا استدعينا لاوامرنا بهم فليكن الاسراع اليه يخجل البرق التألق في السحاب المسخر، فما اردناك الا انك سهم خرج من كنانته، وسهم لا ينثني الى الباطل عيانه ولا عنانه، فاشكر هذه النعم على مناحها، وشيّف الاسماع بمدائحها، متحققًا ان في التنقل بلوغ العز والامل، وانه لو كان في شرف الاوى بلوغ منى لم تبرح الشمس يومًا دارة الحمل، فاستصحب الفرح والجذل، بدل الفكر والخذل، وسر على بركة آرائنا الشريفة وقل: «وفي بلادي من اختم بدا!» واختر ما اخترناه لك سعادة (٢ المؤيدة المؤيدة فطرقها بالذكاء مكتحل

لن السعادة في ما انت فاعله وفقت مرتحلًا ام غير مرتحل

« فما آثرنا بتوجيهك الى الشام الا ليأتيك المجد من هنا وهنا، لانك اذا كنت معنا في المعنى فما غبت في الصورة عنا، وابسط املك انك اليوم لدينا (*ج ٧ ع ٣*) مكين امين، ونزه نفسك فقد أويت الى ربوة ذات قرار ومعين، والوصايا كثيرة ولكن ابن مجدتنا علمًا ومرفه، وفارس نجدتنا الذي لا يقدم على امر حتى يعرف مصرفه، فما نحتاج ان نرشدك منها الى علم، ولا ان نشير اليك فيها بأنملة قلم، وتقوى الله عز وجل هي العروة الوثقى، والكعبة التي من تطوف بها فلا يضل ولا يشقى، فعض بالناجذ عليها، وضم يديك على منطقيها، والله يتولى ولايتك، ويعين درايتك بالامور وعنايتك، والخط الشريف اعلاه الله وشرفه اعلاه، حجة بثبوته والعمل بما اقتضاه، ان شاء الله تعالى»

وغني عن القول ان مثل هذا الراتب لم يكن يفي ابدًا بنفقات الوزراء بدمشق

١) في الاصل بجميل وهو خطأ ظاهر

٢) كذا في الاصل ولا شك انه سقطت من قلم الكاتب ام المؤلف لفظة بعد قوله «سعادة» ولا يخلو ان يكون الاصل: ما اخترناه لك سعادة دولتنا المؤيدة المؤيدة

ومع ذلك لم يكن احدهم يلي هذا المنصب حتى ينكفئ عنه بثروة طائلة ومقتنيات عريضة كانت تتراءى شهرتها احياناً الى مسامع السلطان فلا يلبث ان يأمر باعتقال الوزير ومصادرته حسبما نقلنا قبلاً عن الصاحب شمس الدين غبريال سلف صاحب التوقيع في وزارة دمشق . قال ابن تغري بردي: «ورد المرسوم بالقبض عليه فأمسك بدمشق وأخذ منه اربعماية الف درهم . ثم طُلب الى القاهرة وأُخذ خطه بالف الف درهم (مليون) فأُفرج عنه بعد ان وزن المبلغ المذكور ما خلا مائتي الف درهم فاستطلق له قرصون ذلك من السلطان. ثم تغيّر خاطر السلطان ثانياً وقيل عنه ان له ودائع في دمشق فكتب السلطان الى تنكز فتتبع ودائعه فظهر له شيء كثير . ولما مات سنة اربع وثلاثين وسبعمائة ظهر له ايضاً جملة مستكثرة»(١) .

ولا شك ان هذه الملايين الراهنة كان الوزراء اكثر ما يجمعونها من المظالم ومصادرات الكتّاب في كل عزل وولاية وعلى الخصوص من التقادم والرُشى . نعم ان الامير تنكز نائب الشام في ايام شمس الدين غبريال كان قد منع وامتنع من قبول التقادم والهدايا جملةً وانصف العامة والتجار بخلاص حقوقهم من الامراء ولكنه ما لبث ان أصيب بنفس الداء الذي اراد استئصال شأفته . قال المقريزي: «فلما كانت آخر ايامه صادر جماعة كثيرة من كتاب السرّ وغيرهم ومن الضُمّان والعُرفاء واتخذ الاملاك واخذ عدّة اوقاف من اولاد الملوك حتى كانت غلة املاكه كل سنة مائة الف درهم»(٢) . ومن جملة هؤلاء الكتاب الذين استباح اموالهم فريق من اعيان النصارى كانوا في خدمة بعض الامراء وديوان الجيش اتهمهم بانهم احرقوا الجامع الاموي سنة اربعين وسبعمائة ليتمكن من نكبتهم واستصفى منهم ما يزيد على مليون درهم بعد ان افحش في تعذيبهم ورسم ان يُصلبوا ويُطاف بهم يومين حول المدينة وفي الصالحية بطولها مسمّرين على الجمال ثم امر بانزالهم وتوسيطهم اي قطعهم من اوساطهم وهم احد عشر نفراً . واضطرت حينئذٍ طائفة من النصارى ان

(١) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي الجزء الرابع ص ٢٠ (٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المجلد الاول ص ٨٨٨

تدخل في دين الاسلام (١ . قال المقريزي : «فكتب السلطان (الناصر محمد بن قلاوون) الى تنكز يُنكر عليه قَتْل النصارى وان في ذلك إغراء اهل قسطنطينية بتجريد اليمن من تجار المسلمين وقتلهم ويأمره ان يحمل ما وُجد لهم من المال» (٢ . وفي هذا القول اشارة الى ان المتكريين كانوا من نصارى الروم الملكيين وهم اعظم طوائف النصارى بدمشق . فابى تنكز ان يرسل شيئاً من المال فغضب السلطان لذلك . قال ابن قاضي شهبه «وكانت احد ذنوب تنكز عند السلطان» (٣ وما لبث ان امر بالاحتياط عليه ونكبهُ اشدّ نكبة

شعراء النصرانية بعد الاسلام

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

تابع لترجمة ابي زُبَيد الطائي

ومما رواهُ ابو علي القالي في اماليه (٣ : ١٨٣–١٨٥) ورفعهُ الى ابي عبيدة قال : اجتمع عند يزيد بن معاوية ابو زُبَيد الطائي وجميل بن مَعْمَر العذري والاخطل التَّغلبي فقال لهم : أيكم يصف الاسد في غير شعر فقال ابو زُبَيد : «لونهُ وَرْد ، وزئيرهُ رَعْد (وقال مرة اخرى : زُبْد) ، ووثبتهُ شدّ ، والخذهُ جِدّ ، وهولهُ شديد ، وشرّهُ عتيد ، ونابهُ حديد ، وانفهُ أخثم ، وخدّهُ أدرم ، ومشفرهُ أدلم ، وكفّاهُ فراختان ، ووجنتاهُ ناتئتان ، وعيناهُ وقّادتان ، كأنهما لمح بارق ، او نجمٌ طارق ، اذا استقبلتهُ قلت أفدع ، واذا استعرضتهُ قلتَ أكوع ، واذا استدبرتهُ قلتَ أصمع ، بصيرٌ اذا استغضى ، هموسٌ اذا مشى ، اذا قفّى كنتش ، واذا جرى طَمَش ، براثنهُ شثنةٌ ، ومفاصلهُ متَّرصة ، مضيق لقلب الجبان ، مروّع لفاني الجنان ، ان قاسمَ ظَلَم ،

(١ من السلوك للمقريزي ومسالك الابصار للعمري ودرّة الاسلاك في دولة الاتراك لابن حبيب الدمشقي وتاريخ ابن اسباط الغربي (٢ السلوك ص ٨٨٣ (٣ ذيل ابن قاضي شهبة على تاريخ الاسلام للذهبي من مخطوطات باريس عدد ١٦٠٠ ص ٣

وان كابرَ دهَمه، وان نالَ غنم. ثمَّ انشأ يقول (من الرجز):

خُبَعْثِنٌ أَشْوَسُ ذو تَهَكُّمِ | مُشَبَّكُ الانيابِ ذو تَبَرْطُمِ
وذو اهاويلَ وذو تجهُّمِ | ساطٍ على الليثِ الهِزَبْرِ الضيغمِ
وعينُهُ مثلُ الشهابِ المُضْرَمِ | وهامةٌ كالحجَرِ المُلَمْلَمِ

فقال (يزيد): حسبُك يا ابا زُبَيد. ثمَّ قال: قُلْ يا جميل. فقال: يا امير المؤمنين وجهُهُ فَدْغَم، وشِدْقُهُ شُدْقَم، وانفُهُ مُقَرْطَم، ومقدَّمه كثيف، ومؤخَّره لطيف، ووثبُهُ خفيف، وأَخذُهُ عنيف، عَبْل الذراع، شديد النُّخاع، مُرْدٍ للسباع، مُضَيَّق الزَّئير، شديد المرير، أَهرتُ الشِّدقين، مُدَرَّس الحصيرَين، يركبُ الاهوالَ، ويهتصرُ الأبطالَ، ويمنعُ الأشبالَ، ما إِنْ يزالُ جاثمًا في خِيس، او رابضًا على فريس، او ذا وَلَغٍ وتَعِيس. ثمَّ قال:

ليثٌ عَرِينٌ ضيغمٌ غضنفرُ | مُداخَلٌ في خَلقِه مضبَّرُ
مُخافٌ من النابِهِ ويُذعَرُ | ما إنْ يزال قاتلًا يُزمجِرُ
لهُ على كلِّ السباعِ مَفخَرُ | قُضاقِضٌ شَثْنُ البنانِ قَسْوَرُ

قال: حسبُك يا ابن مَعمر. ثمَّ قال: قُل يا اخطل. فقال: ضيغمٌ ضِرغام، غَشَمْشَمٌ هُمام، على الاهوال مِقدام، ولـلأقران هضّام، رئبالٌ عَنبس، جريٌّ دَلَهمَس، ذو صدرٍ مُفرَدس، ظَلومٌ اهوس، ليثٌ كَرَوَّس

قُضاقِضٌ جهمٌ شديدُ الكَلكَلِ | مضبَّرُ الساعدِ ذو تَعَثْكُلِ
شرَنْبَثُ الكفَّين حامي أَشبُلِ | اذا لقاهُ بطلٌ لم يَنكُلِ
مُلَمْلَمُ الهامةِ كَثُّ الأزبلِ | ذو لِبَدٍ يختالُ في تمهُّلِ
انيابُهُ في فيهِ مثلُ الأنصُلِ | وعينُهُ مثلُ الشهابِ المُشعَلِ

فقال لهُ: حسبُك. وامر لهم بجوائز

ومن وصفهِ للاسد ما روي في بعض المجاميع المخطوطة (من الرجز):

كالليث عنده الليوثُ الضَّيغمِ ... يُرْضِعنَ اشبالًا ولما تُفطَمِ
فهو يحامي غيرهُ ويحتمي ... عَبْلُ الذراعَين كريهُ الشَّدقَمِ
ليثُ الليوثِ في الصدام مِصدَمِ ... وكَمُسِّ الليل بِصَكٍّ هَبْصَمِ
ذو جبهةٍ غرّا وأنفٍ أخثمِ ... يُكنَى من الناس ابا مُعظَمِ
قَسْوَرةٍ عَبْسٍ صَفيِّ الشَّجَمِ ... ضَمٍّ بصماتٍ مُضلِخِدٍّ صِلَدمِ
أغضَفَ رئبالٍ يجذّبٍ قَدعَمِ ... منتشرِ الزَّرْفِ هضيمٍ هَيضَمِ
من هيبة المنونِ لم يُجَمجِمِ ... رهبةٌ مرهوبِ اللقاء ضَيغَمِ
اذا تناجي النفس قالت صَيِّمِ ... غمغمةٌ في جوفها المغيَّمِ
مُجَرِّزٌ شأنَ ضرارٍ شيظَمِ ... عند العراكِ كالفنيقِ المُلْمَمِ
يفدي الكميَّ بالسلاحِ المُعلَمِ ... منه بأنيابٍ ولما تُقضَمِ
ترى من الفَرْسِ بهِ نَضحَ الدمِ ... بالنَّحر والشِدقَين لونَ العَندَمِ
أغلبُ كم وحشٌ انوف الرُّغَّمِ ... اذا الاسود أُحجِمت لم يُحجِمِ

وممّا يروى لابي زُبيد ايضاً في وصف الاسد قولهُ (طويل):

يظلُّ مُغِبًّا عنده من فَرائسٍ ... رُفاتُ عظامٍ اوغريضٌ مُشَرْشَرِ (١

ومن وصفهِ للاسد ممّا رواهُ ابن السكّيت في تهذيب الالفاظ (ص ٢٨٣) (من البسيط):

اذا تَبهنَسَ يمشي خِلتَهُ وَعِثاً ... وَعَتْ سواعدُ منهُ بعد تكسيرِ (٢

١) الغريض الطريُّ من اللحم. والمُشَرشَر القطع المشقّق

٢) يصف الاسد. تبهنس اي تبختر كأنهُ يمشي اي في رملٍ تسوخُ بهِ الاقدام. ووَعَت سواعدُ منهُ اي جُبِرت بعد كسر

وقال ايضاً فيه (من الوافر) :

فلمَّا ان رآهم قد تدانوا ... أتاهم وسط أرحُلهم يميس (١

وفي اللسان (في مادَّة حمر) له ايضاً في وصف الاسد ايضاً (من الطويل) :

اذا عَلِقَتْ قِرناً خطاطيفُ كفِّهِ ... رأى الموت رأيَ العينِ اسودَ أحمرا

فهذه الاوصاف ادلُّ دليلٍ على ما قيل عن ابي زُبَيد أنهُ امتاز بوصف الأُسود . ومن حكمهِ ما رواهُ لهُ البحتري في حماسته (من الطويل) :

عليك برأس الامر قبل انتشابهِ ... وشرُّ الامور الأعسرُ المُتدبِّرُ

وفي حماسة الخالديين (نسختنا الخطّيَّة ٦٥) وفي الحماسة البصريَّة (١ : ١٠٤ من نسختنا) (من الطويل) :

سأقطعُ ما بيني وبينَ ابن عامرٍ ... قطيعةَ وصلٍ لستُ اقطعُ جافيا

فمن يتبع النعمى بنعمى تربُّها ... ولا يتبعُ الاخوان بالذمّ زاريا

اذا كان شكري دون فيضِ بنانهِ ... وطاولني جودًا فكيف احتياليا

وروى له في اللسان (٦ : ١٠) يمدح الوليد بن عقبة قال ويروى ايضاً للحزين الكناني (من الكامل) :

قال الوليد اليومَ حنَّت ناقتي ... تهوي لِمُغبَرِّ المتون سمالقِ (٢

حنَّت الى بَرْقٍ فقلتُ لها قري ... بعضَ الحنينِ فانَّ سجرَكِ شائقي (٣

---

١) اي انهُ رأى الاسد قوماً مسافرين فدخل في وسطهم وهو يتبختر

٢) يقال سجرت الناقة اذا مدَّت حنينها . والسمالق جمع سملق الارض التي لا نبات لها

٣) وفي التاج (٣ : ٢٥٦) : الى بَرْكٍ . وقريهِ وقَرّ اي اسكني واهدأي . وشبَّه « بعض الحنين » على معنى كُفّي عن بعض الحنين فانَّ حنينك الى وطنك شائقي لأنهُ يذكرني اهلي ووطني

كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ وشمائلٍ ميمونةٍ وخلائقِ

ومما رواهُ ابن عبد ربّه (العقد ٣ : ١٣٣) لابي زُبَيد قولهُ يهجو من منعهُ صلتهُ (من المنسرح) :

ان كان رزقي اليك فأرمِ بهِ في ناظرَي حيّةٍ على رَصَدِ

ليتَكَ اَدّبتني بواحدةٍ تجعلُها منكَ آخرَ الأَبَدِ

تحلفُ أن لا تبرّني ابدًا فانَّ فيها بَرْدًا على كَبِدي

وروى لهُ ابو عليّ القالي (١ : ٢٦) من قصيدة في رثاء الخليفة عثمان يصف المساحي وهي المجارف التي حفروا بها قبرهُ (من البسيط) :

لها صَواهلُ في صُمّ السِلامِ كما صاحَ القَسِيّاتُ في ايدي الصَياريفِ

كأنهنَّ بأيدي القومِ في كَبَدٍ طيرٌ تكشّفُ عن جونٍ مزاحيفِ (١

ولما قُتل الخليفة عليّ بن ابي طالب قال ابو زبيد يرثيه (من البسيط) (الكامل للمبرّد ص ٥٥٣) :

انَّ الكرامَ على ما كان من خُلُقٍ رهطُ امرئٍ خارَهُ للدينِ مُختارُ (٢

طَبٌّ بَصيرٌ بأضغانِ الرجالِ ولم يُعدَل بحَبرِ رسولِ الله أحبارُ (٣

١) قال القالي : وصفَ مساحيَ . والسِلام الحجارة والصياريف الصيارفة ثم شبّه المساحي في ايدي الحفّارين الذين يحفرون قبر عثمان رضي الله عنهُ بطير تطير عن إبل جون اي سود . والمزاحيف المُعيية . وانما جعلها جونًا لأنهم حفروا في حرّةٍ فشبّهُ الحرّة بالإبل السود . وهذه رواية التاج :

كأنَّ اربَ مساحي القومِ فوقهمُ طيرٌ تعيفُ على جُونٍ مزاحيفِ

٢) قال المبرّد : خارهُ إنما هو اختارهُ ٣) اضغان الرجال أمورُها ومخبآتها . والحَبرُ العالِم

وقَطَّرةٌ قَطَرت اذ حان مَوعدُها   وكلُّ شيءٍ لـهُ وقتٌ ومقدارُ
حتّى تنصَّلَها في مَسجدٍ طُهُرٍ   على إمامٍ هُدًى إن معشرٌ جاروا (١
حُمَّت ليدخل جنّاتٍ ابو حسنٍ   وأُوجبتْ بعدهُ للقاتل النارُ (٢

ومن مختار شعر ابي زُبيد الطائي داليَّتهُ التي قالها في اللَّجلاج. أمَّا اللَّجلاج المذكور فقيل انهُ اللجلاج بن اوس من انسباء ابي زُبيد وقيل انهُ اخوهُ (المقاصد النحويَّة للعيني ٤ : ٢٢٢) وقيل بل هو ابن اخت اللجلاجُ الحارثيّ وهو طُفَيل بن يزيد بن عبد يغوث (خزانة الادب لعبد القادر البغدادي ٢ : ١٥٥) . وهذه القصيدة انتخبها ابو زيد القرشي في جمهرة اشعار العرب فنقلها في بعض النسخ في جملة المذهَّبات وفي غيرها في جملة المراثي . وقد كنا نسخناها على نسخ خطيَّة في مكاتب اوربَّة ومصر وذكرنا رواياتها وبعض شروحها فنثبتها هنا كما وجدناها (من الخفيف) :

انَّ طولَ الحياة غيرُ سعودِ   وضلالٌ تأميلُ طولِ الخلودِ (٣
عَلَلُ المرءِ بالرجاء ويُضحي   غرضاً للمنون نَصْبَ العودِ (٤
كلَّ يومٍ ترميهِ منها سهامٌ   فمُصيبٌ او صافَ غيرَ بعيدِ (٥
كلُّ ميتٍ قد اغتفرتُ فلا أجـ   ـزَعُ من والدٍ ولا مولودِ
غيرَ انَّ اللَّجلاج هدَّ جناحي   يومَ فارقتُهُ بأعلى الصعيدِ
في ضريحٍ عليهِ عِبءٌ ثقيلٌ (٦   من ترابٍ وجندلٍ منضودِ
عن يمين الطريق عند صدى حرّ   ان يدعو بالويل غيرَ معودِ (٧

(١ تنصَّلها يريد استخرجها   (٢ حُمَّت اي قُدّرت
(٣ ويروى: نيل الخلود   (٤ وفي العيني: نصب العمود   (٥ يقال صاف السهمُ اذا عدل عن الهدف. ويروى الثاني في اماليه (٣ : ١٣٥) : يرميه منها بريشٍ . . . او صافَ. وصائف السهم كصافٍ   (٦ العِبءُ الحِملُ الثقيل   (٧ غير معود اي لا يعودهُ احد. ويروى العيني: غير مخمود. والحرّان الشديد العطش

صادياً يستغيثُ غيرَ مُغاثٍ … ولقد كان عُصرةَ المنجودِ (١

رُبَّ مُستلحِمٍ عليهِ ظِلالُ م … ألموتِ لهفانَ جاهدٍ مجهودِ (٢

خارجٍ ناجذاهُ قد بَرَدَ المو … تُ على مُصطلاهُ أيَّ بُرودِ (٣

غابَ عنهُ الأدنى وقد وردتْ سُمْـ … ـرُ العوالي اليهِ أيَّ ورودِ

فدعا دعوةَ المخنَّقِ والتلبيـ … ـبُ منهُ في عاملٍ مقصودِ (٤

ثمَّ أنقذتَهُ وفرَّجتَ عنهُ … بغموسٍ او ضربةٍ أخدودِ (٥

بحُسامٍ او رَزَّةٍ من نجيضٍ … ذاتِ رَيبٍ على الشُّجاعِ النجيدِ (٦

يَشتكيها بقدْكَ اذ باشرَ المو … تَ جديداً والموتُ شرٌّ جديدِ (٧

فلوتْ خيلةٌ عليهِ وهابوا … لَيثَ غابٍ مقنَّعاً في الحديدِ

غيرَ ما ناكلٍ يسيرُ رويداً … سَيرَ لا مُرهَقٍ ولا مهدودِ (٨

ساجياً للجِمامِ يقصرُ عنهُ … عُرُكاً في المضيقِ غيرَ شرودِ (٩

---

١) عُصرة المنجود اي ملجأ المكروب . ويروى العيني : نُصرة المجهود وهو تصحيف

٢) المستلحم الناشب في ملحمة القتال   ٣) ويروى : خارجاً . ويروى في اللسان (٢٢:٦٩) : بارزٌ . قال ابو الهيثم : بَرَدَ الموتُ على مُصطلاهُ اي ثبتَ عليه . ومُصطلاهُ يداهُ ورجلاهُ ووجههُ وكلّ ما برزت منهُ فبَرَدَ عند موتهِ وصار حرُّ الروح منهُ بارداً . والناجذان السنّان اللتان تليان النابين   ٤) المخنَّق الشاظ . والتلبيب مجمع الثياب عند المقصومة والعامل أعلى الرمح . والمقصود المكسور   ٥) ويروى : وفرّقت عنهُ . اي انقذت المستغيث بك . والغموس الطعنة الواسعة . والاخدود التي تخدّ في من طعن بها   ٦) ويروى : من حسام او ضربة . والرزّة الطعنة . والنجيض السنان المرهف . وذات ريب اي يرتاب من شرّها الشجاع . ويروى : ذات رَيثٍ . والنجيد الشجاع   ٧) اي يقول لضاربهِ : قدك اي حسبك هذه الضربة وكفتني هذه الطعنة

٨) الناكل المتنفّر . والمُرهَق الغشيّ المكروب . ويروى : مهرود

٩) ويروى : ساجياً بالباء . ويروى شاحياً بالجمام

مستعدًّا يخالها ان دنوا منـــهُ وفي صدر نحرهِ كالصَّديدِ (١

نظرَ الليثُ همُّهُ في فريسٍ   أقصدتْهُ يدا مجيدٍ مفيدِ

سانَدوهُ حتى اذ لم يروهُ   شدَّ اجلادَهُ على التسنيدِ (٢

ينسوا ثمَّ غادروهُ لطيرٍ   عكفوا حولهُ عكوفَ الوفودِ

وهمُ ينظرون لو طلبوا الوتــــرَ الى واترٍ شموسٍ حقودِ (٣

قحمةٍ لو دنوا لثارَ اليهم   خرشفٌ قد ثناهمُ لعديدِ (٤

يا ابن امي ويا شقيقَ نفسي   انت خليتني لدهرٍ سديدِ (٥

يبلغُ الجهدَ ذو المصاقةِ من القو   مِ ومن يلفَ لاهياً فهو مودي (٦

كلَّ عامٍ أُرمى ويُرمى أمامي   بسهامٍ من مخطئٍ وسديدِ

ثمَّ أوحدتني وأثلتَ عرشي   عند فقدان سيدٍ ومسودِ

من رجالٍ كانوا جمالاً نجوماً   فهمُ اليوم صخبُ آلِ ثمودِ

خانَ دهرٌ بهم وكانوا همُ اهــــلَ عظيمِ الفعالِ والتمجيدِ

ما لمي باحةِ العراقِ من النا   سِ بجردٍ تعدو كمثل الأسودِ (٧

كلَّ عامٍ يلقَيْنَ قوماً بكفِّ الد   هرِ جمعاً وآخذٍ في مزيدِ (٨

جازعاتٌ اليهمُ خشعُ الاو   داةِ تسقى قرباً صياح المديدِ (٩

١) الصديد الدم والقيح ٢) ساندوه اي اطلعوه لهُ رأْي لم يقرَّ على الاستناد ٣) الشموس الشرس الخلق ٤) القحمة القتحم الشدائد . والخرشف صغار العجم ٥) شقيق صحيح شقيق زهر الا... ويروى : يا ابن خنساء . ويروى ايضاً : يا ابن خنساء . . . يا جلاح خليتني لشديد ٦) ويروى : يلف وانياً . وذو المصاة . الذي يقاس له الماء بالحجارة عندما يتصافنون عليها الماء

٧) ويروى : مالمي . . . بمثل الاسود ٨) ويروى : وآخذ حي مزيد

٩) ويروى : خشع . . . قرناً صياح الديد

مُنيفاتٌ كأنّهنّ قنا الهندِ ونى الوجيفُ شُنْبَ المزودِ (١
مستجيراً بها الحداةُ اذا يقطعنَ نجداً وسلّةً بنجودِ (٢
فأنا اليوم قَرْنُ أعضبَ منهم لا أرى غيرَ كائدٍ ومكودِ
غيرَ ما خاشعٍ لقومٍ جناحي حين لاحَ الوجوهُ سُفعَ الخدودِ
كان عني يردُّ دَرْأكَ بعدَ م اللهِ شغبُ المستصعبِ المريدِ (٣
مَن يكدني بسيّءٍ كنتَ منهُ كالشجا بين حلقهِ والوريدِ (٤
أسدٌ غيرُ حيدرٍ ومِلَثٍّ يُطلعُ الخصمَ عنوةً في كؤودِ (٥
وخطيبٌ اذا تغيّرتِ الأوجهُ يوماً في مأزقٍ مشهودِ (٦
ومطيرُ اليدين بالخير للحمدِ اذا ضنّ كلُّ جبسٍ صلودِ (٧
أصلتيٌّ تسمو العيونُ اليهِ مستنيرٌ كالبدر عامَ المهودِ (٨
مُعمِلُ القِدرِ بارزُ النارِ للضيفِ اذا همَّ بعضهم بخمودِ
يعتلي الدهرَ ان علا عاجزَ القومِ وينمي للمنتمِ الحميدِ
واذا القومُ كان زادُهمُ اللحمَ قصيداً منهُ وغيرَ قصيدِ

---

١) ويروى : شُنُفُ المزود . المنيفات الخيل المُشرفة وفي اللسان : الشُنُب الرمح . والمَزود والفارد الذي يجيء ويذهب نشاطاً ٢) المستجير المتحيّر . والنجد المكان المرتفع . والحداة الادلاء . لما اي صرتُ بعد الميت كالكبش الأعضب الذي لا قرنَ لهُ ٣) ويروى : كان مني . الدرأ الدفع . والشغب هيج الشرّ . والمريد البالغة من الاردة والتمرّد

٤) ويروى : من يردني . كادهُ اي خدعهُ ومكّرَ بهِ . الشجا العظم يعترض في الحلق والوريد عرق الودج ٥) الحيدر القصير . والملثّ الأخرج . والكؤود العقبة الشاقة ٦) تغيّرت اعترت كأنها طليت بالغُبرة . الأزق الشهود موضع الحرب الشديد القتال ٧) الجبس اللئيم . والصلود القاسي الذي لا تندى يدهُ بخير ٨) ويروى : أصلتياً ... مستنيرٌ . والأصلتي السريع . والمهود الامطار

وسَمَوا بالمطيّ والذُّبَّل السُّمْر لَعَمياء في مَغارط بيدِ (١

مستحيراً بها الرياحَ فلا يَجْتابُها في الظّلام كلُّ هَجُودِ

وتخال القريض فيها غناء للندامى من شاربٍ غِرّيدِ (٢

قال سِيروا انَّ السُّرى نُهزةُ الاكياسِ والغَزوِ وليس بالتهويدِ (٣

واذا ما اللَّبون سافَتْ رماد الحيّ يوماً بالسَّمْلَقِ الأملودِ (٤

بدّلَ الغزوُ أوجُهَ القوم سوداً ولقد ابدأوا وليست بسُودِ

ناط امرُ الضعاف واحتفلَ السُّبل كحَبْل العاديّة الممدودِ (٥

في ثيابٍ عِمادُهنّ رماحٌ عند جوعٍ يسمو سموَّ الكُبُودِ

كالبلايا رؤوسُها في الولايا سافحاتِ السُّموم سُفْع الخُدودِ (٦

ان تَفُتْني فلم أَطِبْ عنك نفساً غير اني أُمنَى بدهرٍ كَنُودِ

كلَّ عامٍ كأنّهُ طالبٌ وِتْراً الينا كالثائر المستقيدِ (٧

هذا ما امكننا ان نجمعهُ من شعر ابي زبيد . ولهُ في المعاجم وكتب الادب ابيات مفردة عديدة يُستدلُّ منها انهُ كان غزير المادة ذا قريحة واسعة . ولعلَّ بعض الرواة جمعوا شعرهُ في ديوانٍ فَفُقِد بآفات الدهر

وبابي زبيد هذا نختم القسم الأوَّل من كتابنا في شعراء النصرانيّة بعد الاسلام فننتقل من المخضرمين الى الشعراء الذين برزوا في عهد الدولة الامويّة ان شاء الله

١) العمياء التي لا طريق لها . والمغارط المهلكات . والبيد جمع بَيداء الفلاة المُبيدة لسالكها
٢) ويروى : وتخال القريض ٣) ويروى : وليس بالتسهيد ٤) اللبون ذات اللبن . سافت شمَّت . والسَّمْلق التي لا نبات فيها . والاملود الذي لا ورق فيه
٥) ناط علّق ورفع . والعادية الطريق . . والسُّبل امر الناس
٦) الولايا جمع وليّة وهي ما يلي الظهر تحت الكور . والبلايا جمع بليّة وهي الناقة تُحبس عند قبر صاحبها في الجاهليّة . سافحات مُعطيات . والسَّموم الريح الحارّة
٧) المستقيد الذي يطلب القَوَد من غيرهِ

جزيرة مالطة وآثارها القديمة

بقلم الاديب فؤاد افرام البستاني

سبقت مجلة المشرق (٨[١٩٠٥]: ٥٠٤٠) فذكرت نبذةً من جزيرة مالطة وجزرها الثلث لامباليشا وغوزو وكومينا ونشرت هناك خارطتها مع بعض صورها واشارت الى من تقلّب فيها من الامم الغابرة

وقد وقفنا على فصل نشره العالم الفرنسوي فورديان في المجلّة الفرنسوية «العلوم والرحلات» ضمّنهُ وصفاً حسناً لهذه الجزيرة ولآثارها ومتحفها الذي يديره احد مشاهير علمائها الاستاذ زَميت (Zammit) . فأحببنا ان ندوّنهُ هنا معرّباً ببعض التصرُّف

كانت مالطة في اول عهدها قسماً من ارض ضيّقة تصل اوروبة بافريقية . وكان فيها كثير من الانهار العذبة التي بجريانها السريع وحملها الكثير من التربة الاصليّة نحو مصبّها جمعت على الشواطئ طبقةً كثيفة ينقّب فيها الباحثون فيستدلّون بما يجدونهُ من الآثار على تقلّبات احوال البلد . غير ان هيئة مالطة لم تثبت على هذه الصورة فحصل زلزال قوي نزل بها الى قعر البحر كما تدلّ الطبقة الرمليّة الموجودة فوق التربة الاصليّة السابق ذكرها . ثم لم تلبث ان عادت مياه البحر الى مقرّها فظهرت الارض متصلة بالقارتين الاوربيّة والافريقية وفي زمن اتصالها بهما هاجرت اليها حيوانات اوربية وافريقية فاختلطت وتناسلت وتكاثرت . ويُرى تحت ترابها اليوم كثير من بقايا الفيلة العظيمة الجرم والدببة والذئاب وانواع الكركدن وغيرها من مواليد افريقية . ولم يطُل الوقت حتى ظهر الانسان فلأ كهوف الجزيرة بآثاره الظرانية

وكان ان هاج البحر المتوسط فقطع السواعد الارضية بين القارتين وفصل صقلية من تونس ثم انتزع من الاولى جزيرتي مالطة وغوزو . ومن ذلك الحين اتخذت مالطة اسم جزيرة وبدأ عهدها السابق التاريخ

*

من يلاحظ صخور الجزيرة الظاهرة للعيان يرَ ثلثاً مختلفة العمق تظهر دائمًا على

شكل خطين مستقيمين متوازيين . وليس اكتشاف هذه الاخاديد بجديد بل لحظها علماء القرن الثامن عشر لكنهم لم يدركوا المراد منها لانها كثيرة التشعب تنبع في كل الوجهات فلا تقف عند حاجز حتى انها كثيراً ما وصلت الى البحر وقطعت الشاطئ ممتدة تحت الماء على الشكل السابق . وبقي سر هذه الخطوط غامضاً حتى دقق الاثريون في درس طبقات الارض واكتشفوا ابنية عظيمة الاحجار عادية الآثار فتبينوا في السنوات الاخيرة ان هذه الثلم آثار دواليب مركبات الاقدمين الضخمة التي لتكرار مرورها في الوضع نفسه حفرت فيه تلك الخطوط المتوازية . وهذا ما نراه ايضاً في كثير من طرق الصين القديمة المبنية منذ الوف السنين

ويهتم الاثريون اليوم بوضع خارطة لهذه الخطوط المتشعبة وهم يؤملون بواسطتها اكتشاف المدن السابقة التاريخ التي كانت تنتقل اليها تلك المركبات الضخمة

اما وصول الخطوط الى تحت الماء وظهورها في الشاطئ الآخر وانقطاعها على حافة كل شيء فهما يبرهن انها وُجدت قبل ان طغت المياه على اليابسة ، وبكلمة اخرى ان الجزيرة كانت مأهولة قبل ان فُصلت عن صقلية اي قبل ان صارت جزيرة مستقلة . وهذا يؤيد ما سبقنا الى بيانه ويُظهر ان عمر تلك المدنيّة يبلغ على وجه التقريب الثلاثين قرناً

ومما يؤكد صحة هذا القول ان كثيراً من الخطوط مختفٍ تحت طبقة سميكة من الارض الرملية التي تكوَّنت عليها بعد طغيان مياه البحر

يجدر بنا الآن ان نتكلم عن الحفر والآبار العجيبة التي اكتُشفت قبل بضع سنين قرب الخليج المسمّى مرسا سيروكو في جنوبي شرقي الجزيرة . فهذه الآبار تبلغ المئين وهي محفورة حفراً عجيباً في الصخور على شكل قناني مقلوبة ويتراوح عمقها بين خمسة وعشرة امتار . ولا يزال العلماء يتساءلون عن حافريها فمنهم من يقول انهم نفس اصحاب المركبات الضخمة ومنهم من يظن انهم اقدم عهداً . وعلى كلٍّ فان وجود بعض الآبار تحت الماء والرمل يبرهن انها حُفرت قبل انقلاب الجزيرة النهائي

ولعشر سنوات خلت كان اعتقاد اكثر الاثريين ان الفينيقيين حفروا تلك الآبار على الشواطئ البحرية إما كصهاريج لجمع مياه المطر واما كمطامير لحفظ بعض مؤونتهم كالزيت والحبوب التي كانوا يصدرونها الى البلدان القريبة . وقد دفعهم الى

هذا الاعتقاد وجود آثار تشبهها في بعض شواطئ الجزائر وتونس. غير ان اكتشاف آثار مثلها في قمم الجبال اضعف هذا الاعتقاد ولم يلبث ان زال تماماً باكتشاف الكثير من آثار الهياكل والمدن السابقة لعهد التاريخ مما دلّ على ان تلك المدنيّة سبقت زمن الفينيقيين بقرون عديدة

وقد بلغ عدد الهياكل المكتشفة خمسةً: واحدٌ منها وهو المدعو «جيغانتيا» في جزيرة غوزو واربعة في انحاء مالطة وهي: «حجر كيم» و «منيدار» و «كورادينو» و «هال تاركسين» وهذا الاخير اكتشفهُ العلّامة زَمّيت بمعاونة تلاميذهِ المالطيين في سنة ١٩١٦ وسيأتي الكلام عنه بالتفصيل

فابسط هذه الآثار واقدمها يشابه آثار سكان غالية القدماء التي تُرى في بريطانية (فرنسة) وهي مؤلفة من انصاب عظيمة عمودية (Menhirs) او افقية على شكل الموائد (Dolmens) ولا اثر فيها للشغل. ثمّ يليها آثار غيرها يظهر فيها قليل من الشغل وهو يشبه الاحجار العاديّة (Monolithes) الموجودة في سهل ساليسبوري (انكلترا). امّا الهياكل فانها مؤلفة من عدة محاريب بيضويّة الشكل تختلف ظاهراً وباطناً مما يدل على انها ليست صنع مهندس واحد بل مبنية الواحدة قرب الاخرى في عصور مختلفة دون وحدة تربطها

واهمُّ الهياكل المذكورة «حجر كيم» وهذه اللفظة عربية حُرِّفت واصلها «الحجر القائم» — ولا يخفى ان في اللغة المالطية كثيراً من الاصول العربية بل هي اللغة العربية عينها مصحّفة وممتزجة بالفاظ اجنبيّة (اطلب المشرق ٨[١٩٠٥]: ٨١٣-٨١٥) — وهو قائم على هضبة في جنوبي الجزيرة تبعد عن شاطئ البحر نحو ١٥٠٠ متر. والهيكل مركب من احجار رُكِّب بعض على بعض بدون ملاط وسُقفت ببلاط مستطيل جُعلت فوقه قبة مجوَّفة الرأس على شكل قبر او سرير. وقد كانت هذه القبة ولا تزال موضوع اختلاف الاثريين فان البعض منهم يعتقدون ان الاقدمين كانوا يلقون فيها اجساد موتاهم لتأكلها طيور السماء شأن بعض الهنود اليوم. ويقول الآخرون انهم كانوا يضحّون اولادهم ويهرقون دماءهم فتسيل في جوف هذه القبة

وعلى كيلومتر واحد من «حجر كيم» يرتفع هيكل «منيدار» وهو احدث عهداً بدليل صقل حجارته وآثار النقش الباقية على مذابحه وابوابه

وفي سنة ١٩١٦ بينا كان الاستاذ زميت يفتش على هيكل « حال تاركسين » لستخرج من الطبقة العليا عدة اواني خزفية رومانية وفينيقية ، ولما نُزعت تلك الطبقة وجدوا تماثيل صغيرة وعقوداً وجراراً من الفخار غير متقنة الصنعة فيها عظام بشرية متكلسة وحلى من البرونز والعظام وبعض حبوب قمح . وتحت هذه الآثار وجدت طبقة سميكة من الرمال خالية من كل اثر فلما سفوها ظهرت بلاطات هيكل « حال تاركسين » المذكور

وعلى اثر هذه الاكتشافات اضطرّ الاستاذ الى تأجيل العمل لضيق ذات يده فبقيت تلك الآثار مهملة ست سنوات حتى عاد اليها في الخريف الماضي فاتمّ عمله وظهر طول الهيكل ٤٠ متراً وعلوّ ما يحيط به من الرمال والتراب متران ونصف . وهو مجموعة غرف مختلفة الكبر والارتفاع يتصل بعضها ببعض بواسطة ممشى عريض ينتهي الى غرفة داخلية تدعى القدس لا يدخلها الا كبير الكهنة . وفي كل من هذه الغرف مذبح من الحجر المصقول نُقشت عليه صور بعض حيوانات كانوا يقدمونها كذبائح اخصها الثور والغزال والتيس مما يدل على معرفة ذلك الشعب هذه الحيوانات الداجنة . ووجد في احدى الغرف قطعة من تمثال كبير قدّر الاثريون انه تمثال إلهة الحياة او الهة الخيرات كما دلّت بعض رموز نقشت على قاعدته

وقد ظهر قرب هذا الهيكل هيكل آخر يدعى « حال — سافليني » ومعناه « المدينة السفلى » وهو مركب من غرف واسعة محفورة في الصخور . وقربه خرائب مدينة تختلف هندسةً وبناء عن كل ما سبق فان آثارها ليست بيضوية الشكل كأكثر باقي الهياكل وانما هي مستطيلة ما حمل البعض على الاعتقاد بانها من آثار مدنيّة غير المدنيّات المعروفة اليوم

واكتشف مؤخراً قاعدة رخامية كبيرة كتب عليها اولاً اربعة اسطر باللغة الفينيقية في مدح « مليكارت » ملك صور . وتحتها ثلاثة اسطر باللغة اليونانية حفرت بعد الكتابة الفينيقية بعدة قرون ذكر فيها اليونان الههم هركول

ومما اكتشف ايضاً كتابة عربية وجدت على ضريح وهي بالخط الكوفي وترتقي الى سنة ٥٦٩هـ(١١٣٦م) مسيحية وذلك زمن ازدهار المدنية العربية في تلك الجزيرة

٭

فلو امعنَّا النظر في اكتشافات الاستاذ زَميت امكننا ان نؤلف حلقات تاريخ هذه الجزيرة المتفرقة، فنرى اوَّلًا ان شعبًا راقيًا، ربما كان متسلسلًا من حافري الآبار، بنى هيكل «معال – تركيين» ونقش حجاره بالآلات الفأرية التي يرتقي استعمالها الى قبل المسيح بنحو بضعة آلاف سنة اي الى عصر الظرّان المصقول.. ثم اختفى هذا الشعب فهُجِر الهيكل زمنًا طويلًا تيسَّر فيه للرياح ان تجمع فوقه طبقة رمال سميكة. وخلوُّ هذه الطبقة من الآثار يبيّن خلوَّ الجزيرة من الناس طول تلك المدة

وكان بعد زمن طويل ان هبط الفينيقيون مالطة فتأثروا بمنظر ما تبقى من ذلك الهيكل الضخم فجعلوه مكانًا مقدسًا يحجّون اليه ويدفنون فيه موتاهم. ويؤيد هذا القول ما وُجِد من التماثيل والعظام البشرية المصنوعة في عصر البرونز

اما اصل الشعب الاوَّل ومن اين جاء؟ وكيف اختفى؟ وكيف خلت مالطة من السكان – وهي على طريق الامم – من اواخر عصر الحجر المصقول اي عصر البرونز؟ فكل ذلك مما خفي عنا تمامًا

ويرى الاثريون ان سيكون لمالطة في علم الاثريات والعاديات شأن عظيم لا يقلّ عن غيرها من الدول القديمة والله اعلم

مطبوعات شرقية جديدة

Die syrische Jacobosanaphora nach d. Rezension d. Ja'qôb(h) von Edessa mit d. griech. Paralleltext, herausg. von A. Rucker. *Münster in Westf.*, 1923

ليتورجيَّة القديس يعقوب الرسول

سبقت مجلّتنا (المشرق ٨ [١٩٠٦]: ٦٧٧) فنشرت فصلًا مطوَّلًا في ليتورجيَّة القديس يعقوب وصحَّة نسبتها اليه وانتشارها في الكنيسة وما اصابها من التغيُّرات في مدى الاجيال وفي اللغات العديدة التي نُقلت اليها. وهذا تأليف جديد لاحد

افاضل اساتذة كلية مونستر في المانية بحث فيه بحثاً علمياً في كل ما يختص بهذا النافور اليعقوبي ومما يُعرف من انتشاره ولاسيا في الكنائس السريانية والمارونية وكذا بترجماته المختلفة اليونانية والكرجية والارمنية وزاد خصوصاً المخطوطات السريانية التي تُرى في خزائن الكتب الشرقية في رومية ولندن وباريس وقد اختار نسخة قديمة منه منسوبة الى يعقوب الرهاوي احد ملافنة السريان المعدودين في القرن السابع فعُني بنشرها لما في درسها من الفوائد لمعرفة اصول تلك الليتورجية قبل ما تطرأ عليها تلك التغييرات المختلفة فطبعها بالحرف الاسطرنجلي ونشر بازائها ترجمة يونانية قديمة لحصول الفائدة بالمقابلة واضاف اليها الروايات والملحوظات العديدة. فجاء كتابه من افضل ما يُعرف من ليتورجية القديس يعقوب الرسول . فنشكر حضرة المؤلف على هذا الاثر الفريد . وانما وهم (ص ١٠٩) بقوله انّ المطران يوسف الدبس طبع كتاب القدّاس الماروني في مطبعتنا فانه طبعه في « المطبعة الكاثوليكية العمومية» اي المارونية

ل . ش

Wilhelm Weber: JOSEPHUS UND VESPASIAN. Untersuchungen zu dem jüdischer Krieg des Flavius Josephus. *Berlin, W. Kohlhammer*, 1921, *G^d in-8°, VI-287 pp. Prix: 6 fr. suisses*

المؤرخ يوسيفوس اليهودي وفسباسيانوس قيصر

قد افادنا صاحب هذا الكتاب من الطريقة التي توخّاها في عمله اذ عارض ما انبأه يوسيفوس في تاريخ حرب الرومان لليهود في سنتي ٦٩-٧٠ بما رواه مؤرخو الرومان لپلينيوس وتقيتس وسواتونيوس لتظهر بهذه المقابلة نظريات يوسيفوس الخاصة والموارد العمومية التي استقى منها كلٌّ هؤلاء الاربعة. من المعلوم ان يوسيفوس بيع كعبد بعد فتح اورشليم ثم اعتقه القيصر فتخرج على الآداب اليونانية وانقطع الى التأليف وغايته في كتاباته لاسيا في كتابه المعروف بالحرب اليهودية ان يؤلف قلوب امّته فيقربها الى الرومان . وقد صنّف هذا الكتاب باللغتين الآرامية لاهل فلسطين واليونانية لليهود المتفرقين بين الامم وهذه الثانية وحدها صينت على آفات الدهر . وقد اتسع فيها في مديح الرومان ولاسيا في اطراء وسبسيانوس وابنه طيطس وبذكرها تمّا نسب اليها من المطامع في ضبط زمام المملكة. وهو يصف وسبسيانوس كتلقٍّ

الدولة الرومانيّة من ايدي طاغيتيها نيرون وڤيتاليوس . وليس حكمهُ هذا خاصاً بهِ وانما استقاهُ من موارد سابقة عرفها معاصروهُ على رأي المؤلف فاعتبروا وسبازيانوس كمخلص العالم الروماني . وامّا الموارد المذكورة فالظنون انها مذكّرات للامبرطور نفسهِ ولابنهِ وليّ عهدهِ يحاول كلاهما ان يحرزا لسلالتيهما ثقة كلّ محالفي الهدوء والسلام . ومن ثمّ لا يجوز ان ننسب الى يوسيفوس رأياً منفرداً مجرَّداً عن كلّ عامل . هذا رأي المسيو ڤيبر وانما يلوح لنا على خلاف ذلك انّ يوسيفوس كان مُخلصاً لرومية لا نيّة لهُ على دفع قومهِ الى الانتقام كما زعم المؤلف ولعلّهُ كتب ما كتب بعد فوز فرنسة الاخير على وطنهِ فنسب الى يوسيفوس ما يكنّهُ في قلبهِ الاب د. مورتد

Pierre Lisutey : LE DRAME ORIENTAL ET LE RÔLE DE LA FRANCE, Un vol. in-8°, avec 6 Cartes dont deux hors texte en Couleurs. *Paris, Société d'éditions géographiques, maritimes et coloniales*, 1923, *pp.* 250

روية الشرق التمثيلية

عرف لبنان الكبير مؤلف هذا الكتاب المسيو بيار ليوتي اذ كان في العام الماضي مدير مكتب المفوضيّة السامية . تحتّمَ كتابة النفيس ذاكراً فيهِ ما كان من العلاقات بين فرنسة وسوريّة منذ عدّة اجيال واهتمام هذه الدولة الشريفة حاضراً بان تقوم بمهنة الانتداب الذي عُهد اليها بعد الحرب الكونيّة مع ما تلقاهُ في عملها من المشاكل الجمّة . وقد كتب هذا التأليف بقلم سيّال وزيّن بخارطات بديعة . وفي آخره ملحقات وتقارير مفيدة . وممّا يستحقّ الذكر ما رُوي هناك (ص ١٦٦) عن الامير فيصل كيف عرض على الجنرال غورو ان يساعد الفرنسويين ضد الانكليز ليكم على الموصل . وقد وقع (ص ١٠١) غلطٌ في اسم راهبات مار يوسف فدُعين (Religieuses de S[t] Joseph de l'Afghanistan) يريد (de l'Apparition) الاب ه. لامانس

René Millet: LES ALMOHADES, Histoire d'une dynastie berbère. 1 *vol.*, *in* 8°,1923,*Paris*,*Société d'éditions géographiques*,*maritimes et coloniales*

دولة الموحّدين

دولة الموحّدين من قبائل البربر الافريقيّة تولّت الامر على بلاد الغرب في القرنين

الثاني عشر والثالث عشر . فالسيو ماليه الذي كان ممثلاً لفرنسة في تونس زمناً طويلاً خصّ اوقات فراغه بدرس تاريخ المغرب ومع كونه لم يُعَدّ من جملة المستشرقين فقد احسن في كتابه هذا بوصف الموحّدين ونهضتهم وسقوطهم وقد علّل قصر ملكهم فنسبه الى سوء نظام دولتهم وكثرة تقلّباتهم شأن كلّ الدول التي ظهرت في تلك الجهات (ص ١٣٧) .وهذا ما دعاهم الى تأليف فرق عسكريّة من النصارى فكانوا يراعونهم ويشيدون لهم الكنائس ولا يسمحون لنصراني ان يدين بالاسلام وان تنصّر مُسلم فكانوا لا يمكّنون احداً من معارضته في ذلك(ص١١٥–١١٦) . وهذا لعمري ممّا لا نجد له من شبيه في كافّة التاريخ الاسلاميّ . الّا انّ تلك الفرق لم تكن لتصون دولة الموحّدين وتتلافى سوء احوالها ه . ل

Poidebard (A.) : Au Carrefour des routes de Perse, 1 vol. in-12, *Cartes et Planches, Paris, Crès et Cie, Prix* ?

في مفرق طرق العجم

المؤلف مرسل يسوعيّ كان في رسالة ارمينية قبل الحرب يُحسن معرفة المسائل الشرقيّة فانتدبتهُ الدولة الفرنسويّة سنة ١٩١٧ الى مرافقة بعثة القوقاز العسكريّة وكان عُهد اليها درس المواصلات الموجودة او الممكن وجودها بين خليج العجم وبحر قزوين . فاراد الاب پوادبار ان يدوّن اخبار تلك الرحلة التي لا تقلّ مسافتها عن ١٣٠٠٠ كيلومتر . وقد قسم كتابه الى ثلثة اقسام فشرح في قسمه الاوّل سفرالبعثة من باريس الى تفليس مارّة ببغداد . وفي الثاني وصف جغرافيّة العجم وتاريخها ومسالكها .وخصّ الثالث بما وقع في جهات القوقاز من الملاحم من السنة ١٩١٨ الى ١٩٢١ . وهو حقّاً كتابٌ لطيف رشيق الانشاء حسن الطبع والتصاوير والخرائط . ومن شأنه ان يكشف وجهاً من وجوه المسائل الشرقيّة الجديدة

R. Laurent-Vibert: Routiers, Pélerins et Corsaires aux Echelles du Levant. 1 vol. in-12, *illustré, Paris, Crès et Cie, Prix, 7f*

الرحّالون والزوّار والقرصان في اساكل الشرق

تعدّد في كلّ جيل عدد الغربيين الذين أمّوا البلاد الشرقيّة امّا للاطّلاع على آثارها ومعرفة اهلها وامّا لزيارة أقداسها او ابتغاءً لاقتنائها . امراؤها فاختار بينهم صاحب

هذا الكتاب البعض ممن ترددوا وصف اسفارهم وما جرى لهم في طريقهم من غرائب الامور . وقد وجد في احدهم المسمى بوزبك (Busbec) فصولاً شائقة دقيقة الاوصاف كثيرة التفنن واخباراً غريبة مهيجة للعواطف ضمنها كتاباته اللاتينية التي حررها في غضون سفارتيه الى سلطان الاتراك من قبل الامبراطور. فمن جملة هذه الفصول رواية لحصار الفرنسويين لجزيرة اقريطش وخبر احد اغنياء الفرنسويين المسمى لويس مارو اسير القرصان وقصة غويس تاجر مرسيلية وزميل ادبائها والجيش الفرنسوي دي شسطويل في لبنان . وهناك تفاصيل ما كان يقاسيه السفراء في الاستانة لفض مشاكلهم السياسية مع الباب العالي (ص ٣٠) الى غير ذلك مما يشوق القراء على مطالعة هذا الكتاب ج . ل

Leonid u. Friedrich : ANGORA. Freiheitskrieg der Türkei. 1 *vol. in-12, 1923, Berlin. Vereinigung internat. Verlagsanstalten*

انقرة بعد الاعلان بالصلح

هذه رحلة لالمانيين من حزب الشيوعيين باشراعها الى انقرة ليدرسا احوال الكماليين لعلهم يشاركون شيعتهم البلشفية في مناهضة دول الحلفاء . فوصفا اخبار سفرهما واجتماعهما في انقرة برجال الدولة فوجدا ان الاتراك ليسوا في الوقت الحاضر راضين بمذهبهما ولكنهما يظنان انهم سيوافقونهم بعد زمان . اما نحن فرأينا انه ليس بين الاتراك حزب يميل الى هؤلاء القائلين في الفتن والثورات وان ادعى بعضهم بذلك قولاً لا فعلاً ه . ل

Denis (E.) : Du Vardar à la Sotcha. 1 *vol. avec portrait de l'auteur*, 1923. *Collection historique, n° 2. Prix 12 fr*

في البلاد الصربية

توفي صاحب هذا الكتاب في آخر الحرب العمومية وهو كان مولعاً بالصربيين ساعياً في تحريرهم . وقد تمكن قبل وفاته من تأليف جماعة تنشر الآثار الصربية . فكانت باكورة منشوراتهم نشرهم كتابين معتبرين اولهما في تمدن الصرب في القرون الوسطى للكاتب الصربي قسطنطين جيرشك (١) . والثاني هو الكتاب المذكور آنفاً

(١) اطلب : **Jireak (C.)**: La civilisation serbe au Moyen-Age. 1 *vol. in-8°*, 1920, *Collection historique, n° 1*

جمع فيه المسيو «دوبي» مقالاته المتفرقة التي كتبها في وصف الحرب والمسألة الحربيّة. وكانت المراقبة قد ضربت على قسم منها فأُعيد المشطوب تتمةً للفائدة ج. ل

M. Fallex : Atlas de Géographie économique, 70 *cartes et cartons en 6 couleurs. Paris, Delagrave.* 1923, *Prix* 12 f + 25 %

أطلس جغرافي اقتصادي

قلّما يذكر اصحاب الاطالس الجغرافيّة ما يختص باقتصاد الدول. فالمسيو فالكس احسّ بهذا الخلل فعزم على تلافيه وصنّف هذا الاطلس الجديد كملحق لأطلسه المدرسي المعروف فاخرجه على مثاله بترتيبه وحسن طبعه وتلوينه ليقف مطالعه لاوّل النظر على مطلوبه فنوصي به ارباب مدارسنا اليسوعيّة لكثرة فوائده ج. ل

Elisabeth Leseur : LETTRES A DES INCROYANTS, *précédées d'une préface du* T. R. P. Garrigou Lagrange. *Paris, de Gigord*, 1923, *in-12, XVIII-380 pp.* 7 f. 50

رسائل موجَّهة الى زنادقة غير مؤمنين

صاحبة هذا الكتاب مسيحيّة سامية العزّ مثقفة غيرة لخلاص قريبها لم تزل على رغم مصائبها ترقى في سلّم الكمال وتدعو اليه من استطاعت وقد ألّفت سابقاً ثلثة كتب عنوانها «الجريدة. ورسائل في الاوجاع. والحياة الروحيّة» راجت رواجاً عظيماً. ولما ودّعت الحياة عُني زوجها بجمع ١٠٦ من رسائلها التي وجّهتها الى اشخاص مختلفين مجاهرين بعدم ايمانهم سامية باثبات حقائق الايمان لتردّهم الى الصلاح. والحقّ يقال انّ مساعيها لم تذهب ادراج الرياح. فالبعض من رسائلها كتبتها لزوجها الذي فارقه نور الايمان فزهد بالعالم بعد موتها وانتمى الى الرهبانيّة الدومنيكيّة وقد صدّر الكتاب الذي جمعه بمقدمة بليغة بيّن فيها فضائل قرينته وما اودعته رسائلها من الافكار الصالحة وروح المحبّة الزكيّة في اعماق القلوب حتى تملّكت مقاليدها واجتذبتها الى الدين بعد نفورها. وقد بيّن ذلك في توطئته الاب غريغون لاغرانج مطرئاً تلك الرسائل الفريدة التي حقّها ان تُرقم بأسطر من الذهب

الاب يوسف موغبات

Filleau de la Chaise: Discours sur les pensées de Pascal. Introduction et notes de Victor Giraud « *Collections des Chefs-d'œuvres méconnus*». *Editions Bossard, Paris*, 1922-12 *f*^m

خُطب في افكار بسكال

قد تعدّدت المطبوعات في هذه السنين الاخيرة عن النابغة بسكال تذكاراً للسنة الثالثة من مولده . ولم يكتفِ الكتبة بالتآليف المستقبل اعادوا ايضاً طبع المنشورات القديمة التي كُتبت في صدده . وها هوذا كتاب صغير الحجم جميل الشكل رائع الصورة قد جمع فيه السيو فكتور جيرو أربع خُطب او محاضرات القاها بسكال فنشرها الدعو فيليو دي لاشاز ، مدارها على الكتاب الجليل الذي كان نوى بسكال ان ينشره للدفاع عن صحّة الديانة المسيحيّة . فالخطاب الاوّل قاله سنة ١٦٥٨ مدبّجاً بقلمه السيّال . واتبعه بعد مدة بثلثة اخرى كلّها في الموضوع نفسه . وقد صدّر ناشرها طبع الكتاب هذه الخطب بمقدّمة حسنة وذيّلها بملحوظات مفيدة واضاف اليها ترجمة بسكال للسيّدة پيريه (M^me Périer) مع المقدّمة التي تولّى نشرها اصحاب پور روايال (Port-Royal) فقدّموها على الطبعة الاولى من تآليفه ي٠م

اقدم نسخة مخطوطة لكتاب كليلة ودمنة

عني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

طبعة ثانية مصحّحة . في مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩٢٣ (ص ٢٦٠ + 76)

ليست هذه الطبعة تلك المدرسيّة التي سبق لنا وصفها في العام الماضي (المشرق ١٩٢٢ ص ٨٢٠) . وانّما هي الطبعة العلميّة التي نشرناها سنة ١٩٠٥ نقلاً عن اقدم نسخة مخطوطة مؤرخة وجدناها في دير الشوير للرهبان الروم الكاثوليك الحلبيين وقدّمنا عليها مقدّمات وشروحاً طويلة خدمةً للعلم . فهذه الطبعة كانت نفدت فأعدنا فيها النظر وراجعناها على اصلها المخطوط فأصلحنا ما وقع فيها من الاغلاط وكذلك الشروح والملحوظات زدنا فيها وابدلنا بعضها واضفنا الى الكتاب حكماً هنديّة قديمة رواها ابن مسكويه في القرن العاشر للمسيح ومعظمها من كتاب كليلة ودمنة تدلّ على ما طرأ على هذا التأليف من التصحيف والتحريف والتبديل حتى لم يكد

يوجد منه حاضرًا نسختان خطّيتان متشابهتان . فأملنا أن يتلقى العلماء هذه الطبعة الجديدة كما استقبلوا الاولى فيستفيدوا منها لدرس هذا التأليف الشهير ل . ش

الطائفة المارونيّة والرهبانيّة اليسوعيّة في القرنين السادس عشر والسابع عشر

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

طُبع في بيروت في المطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩٢٣ ص ١٦٠

جمعنا تلك المقالات التي نشرناها تباعًا في المشرق منذ السنة ١٩٢٠ الى هذه المدّة الاخيرة فروينا ما دار من المخابرات بين الموارنة واليسوعيين منذ سفارة الاب جوان باطِستا الياني سنة ١٥٧٨ الى غاية القرن السابع عشر نقلًا عن سجلّات رهبانيّتنا ورسائل آبائنا الاقدمين وغيرهم . فبلغ هذا المجموع ١٦٠ صفحة يتضمّن معلومات كثيرة من الموارنة في ذلك الزمان ثم تاريخ مُنشأ المدرسة المارونيّة المنشأة في رومية تحت تدبير الرهبانيّة اليسوعيّة . وهناك اثران فريدان لم يُنشرا سابقًا بالطبع اعني بهما الاول الرجليّة اللطيفة التي نظمها القس الياس القزحي سنة ١٦٦٥ في مديح تلامذة رومية - والثاني قطعة كبيرة من تاريخ تلك المدرسة بقلم الطيب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي يتناول اخبارها من السنة ١٦٣٩ الى السنة ١٦٨٩ شاكرين سيادة المطران عبدالله الخوري النائب البطريركي وحضرة الخوري عبدالله سعد اللذين تكرّما بها علينا . وفي آخر المجموع نظر عام في مراكز الآباء اليسوعيين الاولى في الخاسوريّة والمعالم الرسوليّة ولاسيّما مع الموارنة وقد خُتم بثلاثة فهارس واسعة لمواد الكتاب

تهذيب النفس

بقلم فؤاد صرّوف . عني بنشره يوسف توما البستاني

طُبع في مطبعة المقتطف في مصر سنة ١٩٢٣ (ص ٧٣)

نعم البحث خاض فيه مؤلف هذا الكتاب فانّ تهذيب النفس محور الحياة البشريّة واصل سعادتها . فتتبّع جناب الكاتب كلّ اطوار حياة الانسان الاولى من طفولته الى سن البلوغ والشبوبيّة التامّة ودرس غريزة الولد في كلّ طور منها وما

يجب على المهذّب ان يراعيهُ من اخلاق تلميذهِ ليدفعهُ الى ما فيهِ خيرهُ وصلاحهُ وينكّب بهِ عمّا يدفعهُ الى التروُّط في حمأة الشهوات . فقد استحسنّا آراء الكاتب اجمالاً وكنّا وددنا لو منح الدين جانباً اعظم في تهذيب نفس الولد ليرسخ في ذهنهِ وقلبهِ منذ نعومة اظفارهِ فهو اكبر عامل في تنظيم حياتهِ وكبح نفسهِ الامّارة

تناقص النفوس في العراق : أسبابهُ وطرق تلافيهِ

محاضرة للدكتور حنّا خيّاط مدير الصحة العام في العراق

طُبعت في مطبعة العراق في بغداد سنة ١٩٢٣ (ص٤٨) .

هو بحث تاريخي فيزيولوجي اجتماعي بيَّن الدكتور حنّا خيّاط خريج كليّتنا ومكتبنا الطبّي معظم شأنهِ في هذه المحاضرة النفيسة . فبعد ان قابل بين عدد النفوس في العراق في العهد القديم وفي زمن الخلافة العبّاسيّة مستنداً في ذلك الى رواية ثقات المؤرّخين ونقصها الفاحش في عهدنا انتقل الى التفتيش عن علل هذا التناقص السياسيّة والاجتماعيّة وقد خصّ بينها الاسباب الصحيّة وسوء علاجات الاطباء الدجّالين وتساهل الادارة في منحهم الأذونيّة في التطبيب وهم يجهلون اصولهُ . وقد انتهى في ذلك الى ان بيّن الوسائل التي بها يمكن دولة العراق ان تتلافى هذه المضرّات فتهتمّ اهتماماً صادقاً باهل البلاد صغارهم وكبارهم فعسى ان يعود العراق لازدهارهِ السابق بعدد السكّان وبنموّ العمران . فنشكر جناب الدكتور على ما كتب فانّهُ اجاد وافاد ل . ش

تقرير دعوى رفعهُ الى مقام رئاسة محكمة الجنايات في لبنان الكبير المحامي نجيب خلف . طُبع في مطبعة الجليل سنة ١٩٢٣ ص ٥٢

سُررنا النظر في محاماة هذه الدعوى التي اقامها جناب المحامي البارع نجيب افندي خلف وكيل ورثة محمّد سليمان حيدر من دربلا ضدّ علي سليم حسن من محبوس المتّهم بقتل محمد المذكور فوجدنا في هذا التقرير مثالاً كامل الصفات لحسن المحاماة في الدعاوي الجنائيّة فانّ صاحبهُ دقّق ايّ تدقيق في تفاصيل الجناية وسوابقها

ولواحقها لم يدع باباً للإفلات من حكم العدل . ونؤمل ان الحكومة تقدّر جرأته في بيان الحقيقة قدرها وتضرب على يد الجاني الاثيم بلا شفقة

الحفلة التكريمية للاستاذ جميل صدقي الزهاوي

طُبعت في مطبعة العراق : بغداد سنة ١٩٢٣ (ص ٧٨)

اراد منتدى التهذيب الذي بشرنا في تألفه في بغداد ان يباشر اعماله باكرام احد ادباء عاصمة العراق الاستاذ جميل صدقي الزهاوي . وقد طُبع ما أُلقي في تلك الحفلة من الخطب وأُنشد من القصائد لصاحب الحفلة . فنشارك اهل المنتدى بتهانئنا للاستاذ الزهاوي داعين له بخدمة الوطن والآداب الصادقة زمناً طويلاً فلا يخطُّ قلمهُ الاً كل ما يسرهُ ان يراهُ يوم الدين ل . ش

حقيقة الماسونية ومنشور غبطة البطريرك

بقلم الخوري يوسف المشيتي

بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٣ (ص ١٢٧

في هذه النبذة المسلحة اقوى احتجاج على الشيعة الماسونية واحسن دفاع عن منشور غبطة بطريرك الطائفة المارونية لتحذيره لها فنوصي كلّ القرّاء بمطالعتها وتوزيعها . وقد سرّنا ان الحبر الاعظم وجّه مؤخراً كتاباً لغبطته يهنئه بيوبيليه المجدّين مثنياً على مشروعاته الجمّة ولاسيّما في قيامه على معقد الماسونية وكسر شوكتها

نبذة من وقائع الحرب الكونية

بقلم لطف الله نصر البكاسيني اللبناني

بطبعة الاجتهاد ليوسف ثابت سنة ١٩٢٣ ص ٥٢٥

بلغنا هـذا الكتاب وعدد المشرق على وشك الصـدور فلم يمكنا ان نمعن فيه النظر كما يستحق حسن الانتقاد الاّ انّ ما تيسّر لنا من مطالعته اثبت لنا انّ صاحبهُ

حقّق ودقّق واخذ معلوماته عن مصادر موثوق بها . وبلغ تاريخه الى عهد الانتداب الفرنسوي . ومن حسنات صاحب الكتاب دفاعه عن الاكليروس وبيان مبرّاته العديدة وقت الحرب وذكر ما كان للحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر من العناية بالمنكوبين من عمال لبنان . وقد صدّر الكتاب بنحو ٧٠ صورة من مشاهير الحرب وشهدائه . وهو يباع بليرتين سوريتين

ل . ش

هدايا ارسلت الى المشرق

١ اليأس والامل رواية غرامية تهذيبية بقلم الاقار بستاني . المطبعة البلبيّة ١٩٣٣ (ص ١٠٢)

٢ يوبيل راهبات قلب يسوع ومريم بمناسبة سبعين سنة على تأسيسهنّ بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي نقلاً عن مجلة المشرق طبعت في المطبعة الكاثوليكية ١٩٣٣ (ص ١٦)

٣ قانون الجمعية الخيرية الشاذلية مطبعة العرفان صيداء ١٣٥٢ هـ (ص ٣٢)

٤ محاورة جرت بين شابّين صديقين هما قرولا الارثذكسي ويوسف الكاثوليكي . طبعة ثانية . في المطبعة البولسيّة في حريصا (ص ١٦)

شذرات

﴿ دفاع السائح عن جبران خليل جبران ﴾ وقفنا على العدد الذي حاولت فيه جريدة السائح الاميركية الدفاع عن جبران خليل جبران وتزييف مقالتنا في انتقاده (عدد تموز ص ٤٨٧ — ٤٩٣) فنسبنا صاحبها الى التعصّب الذميم وزعم ان « سهمنا وقع على ام رأسنا » وان « مكروب البغض والانتقام عشّش في قلوبنا » لأن جبران « ان لم يكن من رسل الله فهو من امرائه » (كذا) وانّ « الله فضحنا فضيحة لا قائم لنا بعدها » وغير ذلك من « اللطائف والبدائع » الجبرانيّة التي عوّدنا عليها ابناء الارملة وانسباؤهم من الصحفيّين فنعدّ قدحهم مدحاً

ثمّ (نقول) علم الله انّنا لا نعرف شخصيّاً جبران خليل جبران ولا شيئاً من صفاته

الذاتية وانَّا انتقدنا بعض ما كتبهُ في كتابهِ المطبوع في مصر حديثاً « البدائع والطرائف » ولم نسند انتقادنا هذا الى التخيُّلات والاوهام لكننا دعمناهُ على كلام ذلك الكاتب وبيَّنا ما فيهِ من القرَّزة التي ينخدع بها شُبَّان العصر فليراجع مثلاً فصلهُ في الكمال الذي نقلناهُ منهُ بحرفهِ وليحكم فيهِ كلُّ ذي ذوق حكماً صائباً فلا نشك انهُ يوافقنا في رأينا عن هذيان كاتبهِ وكذا قل عن قِطَع اخرى نقلناها من كتابهِ بحرفها وزيَّفناها . وما قولنا بما يُشتَمّ من كلامهِ من الآراء الكفريَّة والاقوال الخلاعيَّة كما بيَّنا ذلك بنقل فقرات من كتابهِ ? أفكان يمكننا ان نسكت عنهُ ولا ننتصر للحقيقة والدين والادب وهذه غاية دعوتنا ?

﴿ فكاهة مجلَّة سركيس وجهنَّم فرحات ﴾ نقل سليم افندي سركيس في مجلَّتهِ ما كتبهُ الطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات في معجمهِ « إحكام باب الإعراب عن لغة الأعراب » (ص ٤٩٧) حيث ورد في جهنَّم ما نصُّهُ : « جهنَّم (مؤنَّثة) مغارة مظلمة في قلب الارض مملوءة ناراً وكبريتاً تسكنها الشياطين والكفَّار والخطأة طولها مئتا ميل وكذلك عرضها وعلوُّها بينها وبين وجه الارض ثلاثة آلاف ميل والداخل اليها لا يخرج منها الى الابد وخلاف ذلك بدعة » . فتنكَّه سليم افندي سركيس (كالوف عادتهِ) الذي تلاوته هذا الوصف . وسأل صديقهُ الزكي « ما رأيهُ في هذه الاميال عرضاً وعلوًّا وسماكةً ومن اين استقى المطران الجليل هذه المعلومات » ثمَّ خصَّ حقارتنا بالسؤَال قائلاً : « وما رأي حضرة الاب شيخو في هذه الحكاية » .

فيجيب الاب شيخو انَّ في بعض كلام السيّد فرحات ما هو منقول عن الانجيل الطاهر ومن انكرهُ فهو كافر اعني ابديَّة جهنَّم . امَّا ما قالهُ عن طول جهنَّم وعرضها وسماكتها فلا سند لهُ لا في كتب الوحي ولا في تعاليم الكنيسة ولعلَّهُ لبعض افراد الكنيسة نقلهُ فرحات على علاتهِ . وامَّا رأينا في ذلك فانَّنا لا نوافق السيّد فرحات في اقيستهِ لأنَّ هذه المسافة ليست كافية للفرمسون وحدهم ومعظمهم يدَّعون انَّ المتدين الحقيقيين في الفردوس (مع سط التاليا) ليكون عددهم بالغ الملايين فلو ضوعفت الاميال لما كفت لهم . امَّا اذا اراد السائل ان يتحقَّق صحة تلك الاقيسة فما لهُ الَّا ان يوصي احد اصحابهِ الفرمسون قبل موتهِ ان يوقفهُ على ضبطها . لان الاسرقي محروم من الكنيسة والمحروم هالك لامحالة ان لم يتب قبل موتهِ

﴿ صوت اللحم والدم او زواج الاكليروس ﴾ طبعت مطبعة جريدة الخليج في الاسكندرونة كرّاساً طويلاً غفلاً من اسم كاتبه عنوانهُ « الاكليروس بين العزوبة والزواج » يحاول صاحبهُ ان يثبت انّ الزواج من سنن الله والطبيعة التي تلزم الاكليروس كالعلمانيين . وهو مدّعٍ طالما تشبّث بهِ مَن فضّل صوت اللحم والدم على صوت الضمير وشرف الكهنوت لاسيَّما ان الكاتب لا يكتفي بزواج الاكليروس قبل انتظامهِ في السلك الاكليريكيّ لكن ايضاً بعدهُ لمن ترمّل منهم على خلاف كل المجامع وتعاليم الكنيسة الشرقيَّة عينها . فنبدي وجهنا خجلاً إ كتبهُ هناك وخصوصاً لا رواه من المؤتمر الاورثذكسيّ في القسطنطينيَّة انَّ اعضاءها واقروا على هذا الزواج الباطل وبهِ يزيد انحطاط تلك الكنيسة التي ساد فيها الفوضى وصارت في حالة يرثى لها . لماّ الدفاع عن عزوبة الاكليروس فقد كتبنا فيهِ في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ٨٠٠) فصلاً واسعاً فليراجع

﴿ ردود العرفان ﴾ بيّنّا لصاحب العرفان في عددٍ اوّل انّهُ مخطئ في عدَّة آراء رماها على مراجعتها فاجابنا بالشتم والسبّ فأردفنا انَّ هذا لا يزكّيهِ بل يزيد في ذنبهِ فعادت الى عرفها ليس وحاول مرَّة ثانية الدفاع عن خطتهِ المتروية . ومن عجيب قولهِ هذه المرَّة انّه « لم يتحرَّ في اجوبتهِ غير الدفاع عن الحقيقة » . أفدافع عن الحقيقة يوم كتب في مجلتهِ ما كتب (ص ٦٦١) ساخراً وطنيَّة اللبنانيين ويجبهم فرنسة العصبة اليوم كما انصت الى شيخب ؟ افدافع عن الحقيقة اذ نسب الى الشركات الفرنسويَّة والاجنبيَّة « امتصاص دمائنا » (ص ٦٦٢) ؟ افكان محقّاً لما ذكر محاسن دمشق ولم يجد لفرنسة هناك غير الأوقات والقباحات والاقذار (ص ٦٦٤) ؟ وهل انتصر للحقيقة اذ دعا الوطنيين الى نبذ اكرام جان درك وتعظيم « خولة بنت الازور الكندي » التي لا وجود لها الّا في « مخيلة بعض الروائيين » (ص ٦٧٩) ؟ او كان احرص على الحقيقة اذ ذكر اسلام سرجون مولى معاوية (ص ٧٠٢) مع اجماع الكتبة على نصرانيَّتهِ ؟ او يريد ان نفضّل معهُ كلام ذوي الاغراض من اهل الشيعة في حق يزيد بن معاوية (ص ٧٠١) على امام الإلحاد الغزّالي ؟ فلينصف المنصفون وبحرص الزين على حسن سمعتهِ لئلا ينقلب زاي اسمهِ الى شين

﴿ المطران مسرّة في باريس ﴾ سررنا بالقي سيادة المطران مسرّة مطروبوليت

بيروت على الروم الاورثذكس من الحفاوة والاكرام في عاصمة فرنسة وبمواجهة لاركان دولتها ولاسيما لرئيس الوزارة المسيو بوانكاره والجنرال غورو حاكم باريس. وانّا دُهشنا لما نشرته جريدة اكسلسيور من احوال ابرشيّة بيروت فقال مكاتبها عن سيادته انّهُ: «بمثابة بابا» في الشرق وانّ سلطتهُ تتجاوز حدود لبنان الكبير فتمتدّ على جميع المسيحيين المحيطين به الذين لا يقلّ عددهم عن مليون وخمسمائة الف نسمة وعلى جميع العالم الاسلامي في سوريّة الذي لا يقلّ عددهُ عن ثلثة ملايين نسمة وانّ نفوذهُ يمتدّ ايضاً الى مصر على احد عشر مليوناً من المسلمين وقبلت المسيو جودي هذا الكلام وهذه الارقام وانهُ ليس على المطران مسرّة الَّا ان يرفع يدهُ الى العلاء حتى ترى وراءهُ ثلاثة ملايين رجل مستعدّين لخدمته ولو أدّى ذلك الى بذل دمائهم امامهُ» فحيَّرتنا كل هذه المزاعم الغريبة مع وصف ما ورد هناك من مشروعات سيادته من مدارس ومياتم ومستشفيات على حسابه فكيف نُسبت الى سيادة المطران مسرّة دون ان يحتجّ على كاتبها. فما قول مواطنينا الروم في كلّ هذه الترّهات والاراجيف؟ (راجع ايضاً جريدة الف باء في عددها ٩٤٣ في ١٧ تشرين الاوّل)

﴿شعر الدروز﴾ هذه ابيات وقفنا عليها في بعض مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة وهي لاحد شيوخ الطريقة عند الدروز اسمهُ «ابو ابرهيم اسمعيل بن محمد التميمي المكنّى بصفوة المستجيبين الى دين مولانا الى علم الامام» يذكر فيها الحاكم بامر الله الخليفة الفاطمي المعتبر عند الدروز كالهٍ متأنّس. نرويها بياناً لمعتقدهم:

الى غاية الغايات قصدي وبغيتي … الى الحاكم العالي عن كل حاكمِ
الى الحاكم المنصور موجها وآمرا … فليس لنا في التوحيد فيه بنادمِ
هو الحاكمُ الفردُ الذي جلّ إسمهُ … وليس لهُ شبهٌ يقاس بحاكمِ
حكيمٌ عليمٌ قادرٌ مالك الورى … يؤانسهم بالاسم الشائع بحاكمِ
هذا السابقُ السامي البهيّ وناله … مع الجدّ والفتح الخيال اللازم (كذا)
عبيدًا اولانا خضوعًا لامرهِ … وكلّ تقيّ في الدين عبدًا لآدمِ
هو الواحدُ العالي على كلّ علّةٍ … وما غيرها الّا كعبد وخادمِ
هو الحاكمُ المولى بناسوتهِ يُرى … ولاهوتهُ يأبى عن الشاتمِ

﴿الحساب الغربي﴾ انبأتنا اخبار قبرس بان الاكليروس الاورثذكسي استبدل في غرّة تشرين الاوّل الحساب الشرقي بالحساب الغربي بينما غبطة بطريرك الروم استصوب عدم قبولهِ في الشام تاركاً الحكم في ذلك للمجمع المسكوني

اسئلة واجوبة

س سأل مستفيد ما هو الداعي لدرس اللاتينيَّة في مدارس الفرنج؟

درس اللاتينيَّة في المدارس الفرنسويَّة

ج لذلك اسباب شتَّى احدها ان اللغة الفرنسويَّة ومثلها اللغات المعروفة باللاتينيَّة كالايطاليَّة والاسبانيَّة والبرتغاليَّة اصلها من اللغة اللاتينيَّة الفصيحة فبدرس هذه اللغة يسهل كثيرًا درس اللغات المتفرّعة عنها وتتَّضح للدارس مشاكل عديدة لا يمكنهُ حلّها بمعرفة الفرنسويَّة وحدها سواء كان من جانب المفردات ام من جانب المركَّبات . فبمعرفتهِ لفظة واحدة لاتينيَّة يدرك معاني عشرات الفرنسيَّة مأخوذة عنها . والفرق بينهُ وبين من لم يتقنها كالفرق بين قاطف بعض اوراق الشجرة او اثمارها والحاصل على الشجرة من اصلها . زد على ذلك ان درس اللاتينيَّة يمكّن الدارس من ترجمة لغة الى لغة بينهما علائق جمَّة وهو من أفيد التمارين لاتقان اللغتين

س وسألنا مدير مجلة المدارس بعد ان قرأنا ما كتبهُ من حصن الباستيل كيف امكن اذن الفرنسويين ان يتَّخذوا فتح هذا الحبس كعيد وطني لو لم يكن ذاك المكان ممثلًا للجور والاستبداد ؟

عيد فتح الباستيل في ١٤ تموز

ج نجيب اوَّلًا انَّ هذا العيد لم يُقم اوَّلًا لتذكار فتح الباستيل بل لتذكار اعلان الملك لويس السادس عشر والمجلس النيابي بالدستور سنة ١٧٩٠ . ثانيًا لا ذكرَ لعيد وطنيّ ثابت في فرنسة الى عهد نابوليون الثالث الذي جعل عيد السيدة في ١٥ آب كعيد الدولة . ثالثًا عيد فتح الباستيل حديث العهد انشأتهُ الجمهوريَّة الثالثة في عهد غمبتا واصحابهِ نكاية في الحزب الملكي سنة ١٨٨٠ فبقي عيدًا رسميًّا لا يكاد يحتفل بهِ غير الحكومة وموظّفيها . أمَّا العموم فلا يكترثون لهُ غالبًا الَّا لانقطاع الدوائر الرسميَّة عن الشغل فيهِ . ولما اقيم حديثًا عيد القديسة جان دارك كعيد وطني عمَّ اكرامها كلّ انحاء فرنسة دون استثناء ! فليراجع صاحب المدارس معجم لاروس ١٤ : ٥٠٠) وفيهِ كلام عن اعياد فرنسة الوطنيَّة وحداثة عيد ١٤ تموز ل . ش